



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلوم

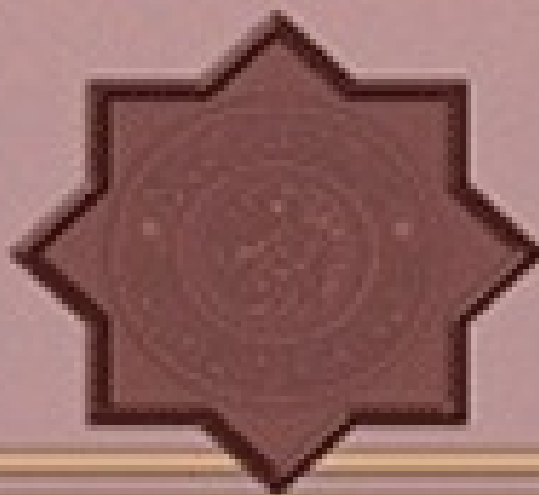


رسالة  
عليكم يا صابغين

www. **Ghaemiyeh** .com  
www. **Ghaemiyeh** .org  
www. **Ghaemiyeh** .net  
www. **Ghaemiyeh** .ir

# خِوَارٌ مَعَ صِدِّيقِي الشَّيْبَانِي

تَأَلَّفَتْ  
الْمُهَاجِرَةُ نَوَافِلُ



١٤٣٥ هـ / ٢٠١٤ م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# حوار مع صديقي الشيعي

كاتب:

بن علي هاشمي

نشرت في الطباعة:

مركز الأبحاث العقائدية

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

## الفهرس

|    |  |
|----|--|
| ٥  | الفهرس                                 |
| ٧  | حوار مع صديقى الشيعى                   |
| ٧  | اشارة                                  |
| ٧  | مقدمة المركز:                          |
| ١٠ | مقدمة المؤلف                           |
| ١٠ | البداية                                |
| ١٢ | صلاة الجمعة الأولى                     |
| ١٣ | الصدمة...                              |
| ١٦ | هل أتاك الحديث عن الشيعة؟! ..          |
| ١٦ | الضالة                                 |
| ١٩ | أبوهريرة... سرٌّ آخر.                  |
| ٢١ | زخرف من القول                          |
| ٢٣ | صفحة رابعة!!                           |
| ٢٥ | الصلاة عمود الدين                      |
| ٢٧ | الماكيافيلية                           |
| ٣١ | شرعية الحكم فى الإسلام... لمن؟! ..     |
| ٣٥ | التشكيك» أو «الفتنة»                   |
| ٣٧ | حديث التقية                            |
| ٤٠ | نظرية وتطبيق أم أمر واقع ثم نظرية؟! .. |
| ٤٩ | قضاء محتوم...                          |
| ٥١ | المتعة ... نكاح أم سفاح؟               |
| ٥٤ | التوسل ... إيمان أم شرك؟               |
| ٥٧ | هل عرفنا الله حقاً؟! ..                |

المهدى... حقيقة أم خيال؟! ..... ٦٣

رمتنى بدائها... وانسلت ..... ٦٧

ثم ماذا..؟! ..... ٦٩

المصادر ..... ٧٤

تعريف مركز القائمة باصفهان للتمريرات الكمبيوترية ..... ٧٥

## حوار مع صديقى الشيعى

## إشارة

- سرشناسه : بن على هاشمى م - ١٩٦٨  
 عنوان و نام پديد آور : حوار مع صديقى الشيعى تاليف الهاشمى بن على مشخصات نشر : قم مركز الابحاث العقائديه ١٤٢٤ق = ١٣٨٢.  
 مشخصات ظاهرى : ص ١٦٨  
 فروست : (سلسله الرحله الى الثقلين ٩)  
 شابك : ٩٦٤-٣١٩-٤٢٨-٠  
 يادداشت : عربى  
 يادداشت : كتابنامه ص ١٦٨ - ١٦٥؛ همچنين به صورت زيرنويس موضوع : شيعه -- عقايد -- مناظره ها  
 شناسه افزوده : مركز الابحاث العقائديه رده بندى كنگره : BP٢١١/٥ ب ٨٥ ح ٩ ١٣٨٢  
 رده بندى ديويى : ٢٩٧/٤١٧  
 شماره كتابشناسى ملى : م ٨٢-٢٦٢٠١

## مقدمه المركز:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وآله الطيبين الطاهرين الذين جعل الله محبتهم محبة له وجعلها عنواناً لصحيفة المؤمن وجوازاً على الصراط المستقيم.  
 إنَّ التشيع لاقى على مرّ العصور أشدَّ المعاناة والمحن من قبل الخصوم ومن قبل السلطات الجائرة التي كانت مهيمنة على زمام الحكم، حيث يمكننا أن نعتبر هذه الظاهرة من أبرز الظواهر التي تبدو لكل متصفح في صفحات التاريخ الاسلامى.  
 ذلك لأنَّ التشيع أصبح بفكره التير وحججه المتينة يشكّل خطراً يهدد عروش الظالمين ويدحض حجج كافة المذاهب المنحرفة التي أسس بنائها على شفا جرف هار، فكانت نتيجة هذا المذهب أن يتلقى الضربات القاسية على مر تاريخه من الحكومات الجائرة والمذاهب المنحرفة.  
 ولكنه رغم هذا الكم الهائل من التيار العنيف والمواجهة الحادة،  
 --- ... الصفحة ٨ ... ---

تمكن أن يستقيم بقوة مبادئه وأفكاره وبركة مرجعيته الدينية الرشيدة التي قادت مسيرته في خضم الأجواء المتأزمة والخائفة وأمواج الفتن المتلاطمة لتجتاز هذه العقبات بسلام.  
 نعم كانت المرجعية الدينية - ولا- زالت - هي الرائدة لصيانة التشيع والحفاظ عليه إزاء هجمات الخصوم، وهي التي مثلت القيادة المستحكمة التي كان لها التقدم دوماً لازالة ما يعترى المذهب من عقبات ومزالق.  
 هذا ونجد مرجعية سماحة آية الله العظمى السيد على الحسينى السيستانى «مدّ ظله» ببرامجها ومشاريعها هي النموذج الأمثل في هذا المضمار للدفاع عن مذهب التشيع ونشر معارف أهل البيت (عليهم السلام) في شتى أنحاء العالم.  
 «ومركز الأبحاث العقائدية» هو واحد من هذه المشاريع المباركة، حيث أسس في الحادى عشر من شهر ذى القعدة ذكرى مولد الإمام الرضا (عليه السلام) عام ١٤١٩ هـ ليتصدى للذب عن حمى العقيدة وتنمية المفاهيم الرصينة ونصرة مذهب أهل البيت (عليهم السلام)

بشئ نشاطاته المتنوعة، التى منها:

الإهتمام بالمستبصرين

والعمل فى هذا القسم يتم على عدة مراحل:

(أ) التعرف على المستبصرين فى شتى أنحاء العالم بشئ الطرق المتاحة بصورة مباشرة أو غير مباشرة، ليتمكن المركز من جمع

--- ... الصفحة ٩ ... ---

معلومات وافية - قدر وسعه - عنهم، من جهة هويتهم الشخصية ومستواهم الدراسى والإمام بنشاطهم ومكانتهم الإجتماعية، ومعرفة دوافع استبصارهم وقصة رحلتهم إلى مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، وقد تعرف المركز لحد الآن على ما يقارب ٨٠٠٠ مستبصر من ٨٤ دولة، وقد تم لكل منهم إعداد ملف خاص به.

(ب) محاولة انتقاء النخبة من المستبصرين لتوفير أفضل بيئه لهم لازدهار قابلياتهم واستعداداتهم الكامنة لتظهر بشكل القاء محاضرات أو تأليف الكتب أو نشاطات أخرى لدعم مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، كما يطلب المركز من أصحاب القدرة الذين يسعهم التأليف والكتابة أن يدونوا أبحاثاً فى مجال المواضيع التى كانت سبباً لاستبصارهم، أو المواضيع التى لها صلة بأهل البيت (عليهم السلام)، سواء فى ذلك كتاب علمى أو ردّ شبهة أو شعر أو رواية أو مسرحية أو...، ويقوم المركز تشجيعاً لهذا المشروع بطبعها ونشرها فى سلسلة تحت عنوان «سلسلة الرحلة إلى الثقلين».

وتم لحد الآن طباعة ستة كتب من هذه السلسلة وهى:

١- النبى ومستقبل الدعوة / مروان خليفات / الأردن.

٢- واستقر بى النوى / محمد العمدي / اليمن.

٣- الصحابة فى حجمهم الحقيقى / الهاشمى بن على / تونس.

٤- بلون الغار بلون الغدير / معروف عبد المجيد / مصر.

٥- لا تخونوا الله والرسول / صباح البياتى / العراق.

٦- الهجرة إلى الثقلين / محمد كوزل الحسن الأمدى / تركيا.

--- ... الصفحة ١٠ ... ---

كما أن الكتب التالية فى طريقها إلى الطبع:

١- محاضرات عقائدية / الدمرداش العقالى / مصر.

٢- رحلتى من الوهابية إلى الاثنى عشرية / الدكتور عصام العماد / اليمن.

٣- وانقضت أو هام العمر (رواية عقائدية فى مجلدين) / جمال محمد صالح اليوزبكي / العراق.

٤- تاريخ الشيعة بين المؤرخ والحقيقة / الدكتور نور الدين الهاشمى / المغرب.

٥- هى الحقيقة / قاسم عبد السلام كتيما / أوغندا.

٦- الزيدية والامامية جنباً إلى جنب / محمد العمدي / اليمن.

وعشرات الكتب التى هى قيد التدوين.

(ج) تنظيم وتدوين «موسوعة من حياة المستبصرين» التى يتم فيها التعريف بالمستبصرين القدامى منهم والمعاصرين حسب ترتيب القرون، مع سرد قصة استبصارهم ومراحل اعتناقهم لمذهب أهل البيت (عليهم السلام) وذكر الأدلة والبراهين التى اعتمدوا عليها فى هذه الرحلة.

وستصدر هذه الموسوعة فى عدة مجلدات.



(د) إعداد أشرطة صوتية ومرئية لما يتحدّث به المستبصرون حول كيفية استبصارهم، وتم التسجيل لحد الآن للمئات منهم. وقد أعدّ المركز برنامجاً باسم «المستبصرون يتحدثون معكم» على شكل أشرطة مرئية وصوتية وأقراص (CD)، ضمّنها ما انتقاه جملة من تلك الحكايات التى تحدث بها المستبصرون عن أنفسهم حول

--- ... الصفحة ١١ ... ---

استبصارهم وكيفية اعتناقهم لمذهب أهل البيت (عليهم السلام).

(هـ) دعوة كبار الشخصيات العلمية البارزة من المستبصرين الى المركز من كافة أنحاء العالم ليلتقوا مع مراجع التقليد والعلماء والمفكرين، وتتمّ لهم زيارات للمؤسسات والمراكز العلمية، ويكون بذلك فيما بينهم تبادل آراء وعقد صلات وإنشاء تعاون فى العمل العلمى والثقافى.

(و) استدعاء ذوى القدرات الخطابية من معتقى مذهب أهل البيت (عليهم السلام) لالقاء المحاضرات فى المساجد والمراكز الدينية، كما قد أرسل المركز هينات علمية متشكلة من الأخوة المستبصرين الى مناطق متعددة للإرشاد وذكر قصة رحلتهم وتبيين الأدلة التى اعتمدا عليها فى استبصارهم.

وتم لحد الآن عقد عشرات المحاضرات بإرسال جملة من الوفود الى مختلف الأماكن، حيث ألقى فيها المستبصرون خطاباتهم أمام الجماهير التى انهالت من كل حذب وصوب لتستمع إلى كلماتهم العذبة الممزوجة بالأحاسيس الطيبة والعواطف الجياشة التى تتدفق من أعماق قلوبهم.

(ز) الإهتمام بطلبة الجامعات الأجانب المقيمين فى إيران ومدّهم بالكتب العقائدية وتبني دعوتهم إلى المركز ليتعرفوا على مذهب أهل البيت (عليهم السلام).

(ح) تنظيم «برنامج المستبصرين»، يشتمل على أهم الكتب التى ألفها المستبصرون مع ترجمة عدد منهم، وذلك بالتعاون مع مركز

--- ... الصفحة ١٢ ... ---

المصطفى للدراسات الإسلامية، كما ويقوم المركز بإعداد الإصدار الثانى لهذا البرنامج الذى سيشمل ترجمة (١٠٠٠) مستبصر والكثير من كتبهم وكتب المناظرات ومعلومات عن الشيعة فى العالم واصدارات المركز.

وأخيراً تبلور كافة هذه النشاطات المرتبطة بالمستبصرين بصورة منظمة لتثبت عبر الانترنت فى صفحة مختصة بهم، كما وتم تهيئة أقراص CD منها للنشر والتوزيع والإهداء الى المؤسسات والمراكز الدينية والشخصيات العلمية فى كافة أنحاء العالم.

وهذا المؤلف «حوار مع صديقى الشيعى» الذى يصدر ضمن هذه هو واحد من مصاديق اهتمام المركز بالمستبصرين ، نقدّمه بين يدي القارىء الكريم، وكلّنا أمل فى التعاون والتنسيق مع الجميع لانجاح هذا المشروع.

مركز الأبحاث العقائدية

فارس الحسون

--- ... الصفحة ١٣ ... ---

إهداء:

إلى فتاة قريش الأولى...

إلى التى اختارها الله تعالى وعاءاً لأفضل خلقه وسيّد رسله

إلى من رُميت بالشرك ظلماً وعدواناً...

إلى أول إنسان فتح عليه رسول الله عينيه

إلى آمنة بنت وهب

إلى سيف الله المسلول...

إلى الجنديّ المجهول...

إلى من مات واقفاً وفي يمينه «سيف وكتاب»

إلى مالك بن الحارث الأشتر النخعي

أهدى كتابي هذا

--- ... الصفحة ١٤ ... ---

--- ... الصفحة ١٥ ... ---

بسم الله الرحمن الرحيم

### مقدمة المؤلف

هذا الكتاب : هو خلاصةً لنقاشات وحوارات دارت بينى وبين أحد الأصدقاء الشيعة فى مدينتى قابس ، وقد خضت مع صديقى هذا حول عقائد أو أشهر عقائد الشيعة الإثنى عشرية.

وأدعو القارئ الكريم أن يخوض معنا فى هذه الحوارات من جانبه وأترك له الخروج بالنتائج.

--- ... الصفحة ١٦ ... ---

--- ... الصفحة ١٧ ... ---

### البداية

ما زلت أذكر تلك الليالى الشتوية الطويلة التى كنت أقضيها طائراً بخيالى وأنا ابن ستّ سنين مستمعاً بشوق لأساطير طالما سردتها علينا عجائز ونساء من أقبائى. كانت أساطير عن الغول والقرم والعفاريت والشجعان. وكانت تلكم الأساطير أهمّ وسائل الترفيه وقضاء الوقت ، خاصيةً فى تلك الليالى الشتوية الطويلة ، تحت نور المصباح الزيتى الخافت وقرب موقد الجمر الذى كان يدفىء لنا غرفة السهر فى بيت عمى ، حيث كانت كؤوس الشاي تدار على الحاضرين والجمع منصت للراويّة الذى كانت حكاياته تبدو بلا نهاية ولربّما كان يزيد فيها من خياله وذوقه الشىء الكثير.

كنت وقد وهبى الله تعالى حافظه قويةً لا أنسى كلمةً واحدةً من تلك الأساطير والحكايات العجيبة ، ولطالما تمّنت بشوق وانتظرت على أحرّ من الجمر قدوم عجز معروفه بأساطيرها لزيارة بيت عمى والمبيت عندنا حتىّ تسرد لنا ممّا فى ذاكرتها من حكايات. ولقد كنت أتوسّل إلى العجائز من أرحامى أن تحكى لنا قصّة كانت قد احتفظت بها فى ذاكرتها منذ عهد صباها.

كانت أياماً حلوةً حقاً ، فبعد العودة من المدرسة ، وبعد ممارسة بعض الأعمال الزراعيّة وتفقد الأغنام ، نعود إلى البيت عندما يبدأ الظلام

--- ... الصفحة ١٨ ... ---

يلفّ القرية ، حيث يخفى قرص الشمس الأحمر الكبير وراء الجبال - ولطالما تمّنت أن أقف على إحداها حتىّ أطلع على الشمس وهى مختبئةً وراء قرينتنا حتىّ يحين فجر اليوم اللاّحق كما كنت أظنّ - وينشر الغروب رداءه الأحمر فالأسود على قرينتنا الوادعة ، فلا تعود تسمع إلّا نباح الكلاب وأزيز خفافيش الليل.

ثلاث سنوات قضيتها فى عالم خيالى مملوءة بالبساطة والصفاء ، خرجت بعدها من ذلك العالم الأسطورى إلى جوّ المدينة الصاخب حيث يُصبح الإنسان أكثر وعياً بالزمن وأكثر اهتماماً بعقارب الساعة.

لقد افتقدت فى جو المدينة الجديد على دجاجات وكتايت زوجة عمى وافتقدت حمارنا الصابر على الأعمال الشاقة والقانع برزقه الخشن وعيشه الجشب ، كما افتقدت تلك الحقول التى كنت أرتع وأمرح فيها. نعم افتقدت كل ذلك الجو ما خلا شيئاً واحداً وهى تلك القمص الممتعة التى بقيت محفورة فى ذهنى ، تلك القمص التى كانت سبباً وأساساً لتبدل حياتى لاحقاً رأساً على عقب. دخلت المدينة وسرعان ما خبا ذلك الشوق الذى كنت أحمله تجاهها ، حيث كنت أمتى النفس ب حياة ممتعة لا تفارقها البهجة لكثرة ما فى المدينة من أضواء وسينماوات وشوارع وحركة دائمة. خبى ذلك الشوق إلى المدينة منذ وصولى إليها وعادت تلك الأمانى عنها سراياً ووهماً كبيراً. ثم عاد لى شوقى وحنينى إلى قريتنا الوداعة المنسية التى تبدو وكأنها خارج الزمن ، لكنى كنت أعتنم تلك الفرص القليلة التى تتوفر لى لزيارتها والوقوف على أطلال ذكرياتى بها.

--- ... الصفحة ١٩ ... ---

لقد فقدت من تلك القرية كل شىء إلا شيئاً واحداً رافقنى منها إلى المدينة ، كان ذلك الشىء حبى وولى بالأساطير والقصص الخيالية.

لكن من لى بهذه المدينة «العاقلة» الرمادية بمن يحكى لى هذه الأساطير؟! إن عجائز المدينة واعيات أكثر من اللازم وقد لا تتوفر لهن الفرصة لسرد أقاصيص سمعناها فى طفولتهن ، فى بيوت أبناهن وبناتهن الكل منشغل ، فالكبار يتابعون الأخبار على موجات الراديو المحلية والعالمية ، والأطفال أعتنم قصص الصور المتحركة عن الإنجذاب إلى حكايات غير مرئية. ولطالما أعاظتنى حكايات رفاقى الأطفال فى مدرستنا عن ذلك المسلسل أو تلك المسرحية التلفزيونية وأبطالها ، حيث كنت أسمع أحاديثهم والأسف يعترضنى لأنه لم يكن عندنا بالبيت جهاز تلفزيون ، لكن عزائى الوحيد كان فى القمص. نعم لئن كنت فاقداً فى بيتى الجديدة للأساطير القروية وفاقداً لجهاز تلفزيون فى المدينة ، فقد اتجهت رغبتى وانصب شوقى إلى المطالعة التى كان معلّمونا يشجعوننا عليها ويوفرونها لنا مجاناً فى المدرسة. وكنت أرى فى تلك الأقاصيص الطفولية امتداداً لعالم ، الأساطير وتعويضاً عنها ، حيث كانت تلك القمص مطرزة بأغلفة مزينة وجذابة ، وكذلك الحال ما بين صفحاتها. كم كنت نهما فى مطالعتها ، ربّما لأنها كانت تحيلنى إلى جنتى المفقودة - قريتنا - حيث كانت أحداث تلك القمص تدور حول الذئب المغرور وقصة حياة حبة قمح ، أو لربّما كانت تحكى عن جحا ومغامراته. كان المعلّمون يرغّبوننا بالمطالعة لتقوية زادنا فى العربية

--- ... الصفحة ٢٠ ... ---

والفرنسية ، وكان إعطائنا القمص يتجاوز المنحى الترفيهى إلى المنحى التعليمى ، حيث كنّا نُسأل عن مضمون القصّة ونُكلف كذلك بتلخيصها وما كان أيسره من عمل ! بعد الفراغ من القصّة نعيداها ثانية ونقوم بتبادل قصصنا مع بعضنا البعض وهكذا. مع مرور الزمان بدأت أقرأ بشغف قصصاً أكبر حجماً وأعمق مضموناً ، كحكايات الألغاز البوليسية وقصص الأدب العربى ككيلة ودمنه وحى بن يقظان وقصص الظرفاء والسندباد البحرى وألف ليلة وليلة وغيرها. لكن مع دخولى مرحلة المراهقة بدأ وضعى الجديد يفرض على الابتعاد عن القصص الملونة الجميلة ، حيث صارت تمثّل لى مرحلة من العمر بدأت فى مفارقتها ، ولم تعد تلكم القمص تروى غليلى إذ أنّها من ناحية كمها كانت تبدو صغيرة جداً ومن ناحية كيفها بدأ الجو الدراسى العام يشعرا بنا أننا كبرنا عليها وينبغى الاتجاه إلى تلخيص وتحليل روايات وآثار معاصرة لأدباء معاصرين. وفى الواقع كنت أشعر بالضجر من هؤلاء الكتاب الذين يضمّنون رواياتهم وقصصهم بعداً رمزياً أو بعداً واقعياً - بما فى الواقع من رمادية - خالياً من تلك المسحة الشعرية التى كنت أتوق إليها دائماً.

روايات كنت وما زلت أعتبرها فارغة فراغ فؤاد أم موسى تتحدث عن «ابن الحارة» وعن علاقته «بالسنورة» وهيامه بها ، أو روايات

تحكى عن حياة قاض فى الأرياف وغيرها.

--- ... الصفحة ٢١ ... ---

لكن سرعان ما استعصت عن هذه الروايات بشيء أكثر بريقاً وأكثر إمتاعاً ، حيث وجدت فى التاريخ ضالتي المنشودة التى تحقق لى حاجتى إلى التسلية والتحليق فى فضاء أرحب وأوسع.

وكما هو الحال فى أغلب المناهج الدراسيه للدول ، يبدأ بتدريس فترة ما قبل التاريخ وانسان ما قبل التاريخ ، ثم يبدأ بتدريس تاريخ البلاد القديم والأوسط والحديث.

وهكذا كان ، فبعد تعريف علم التاريخ وفائده ، ولجنا إلى عصر الإنسان البدائي ، ثم تدرجنا فى تاريخ تونس القديم وأهم الحضارات التى مرّت عليها من فينيقيين وبربر وروم غربيين وبيزنطيين وعرب.

لقد وجدت ضالتي المنشودة فى مطالعة التاريخ ، فقد فتحت لى آفاقاً شاسعة وصنع لى من قصة الحضارة شريطاً حلواً بأبطاله وأحداثه التى بدورها فتحت لى مجالات أخرى للتحليل وربط «الخيوط» ببعضها البعض. بل زاد حبي للتاريخ من شوقى للتعرف على تاريخ بقية البلدان العربية والإسلامية ، وهكذا يبدو الأمر طبيعياً جداً. أليس لكل واحد منا ولّع وشغف بشيء ما؟! فهناك المولع بالجغرافيا وهناك المولع بالشعر وهناك الشغوف بالموسيقى أو الرياضة...

لكن شغفى أنا بالتاريخ فتح عينى على حقيقة عظمتى وغير من حياتى الشىء الكثير.

\*\*\*

--- ... الصفحة ٢٢ ... ---

--- ... الصفحة ٢٣ ... ---

## صلاة الجمعة الأولى

كنت أتطلع إلى السقف الخشبي وإلى المراوح الكهربائية المثبتة فيه لتلطيف جو المسجد المكتظ بالمصلين فى صفوف متناسقة. كنت منشغلاً عن إمام الجمعة وهو يعتلى المنبر الخشبي الجميل ذو الدرجات ، وهو ممسك بعصى طويلة بيده اليمنى.

كانت تلك أول صلاة جمعة حضرها وأنا صبي مع والدى الذى ألححت عليه لى يأخذنى معه إلى هذا التجمع الأسبوعى الهائل. كان كل شىء جديد بالنسبة لى ، فهذا ستار خشبي متشابك يرتفع بطول قامة الفرد يفصل ما بينا وبين المكان المخصى ص للنساء ، وكان هناك جراز ماء صغيرة منتشرة على طول صفوف المصلين أمام صواري المسجد العديدة وكان يملأها كل أسبوع رجل كهل فى أواخر العقد الخامس من عمره طلباً للثواب.

أنهى الإمام خطبته ونزل عن المنبر فارتفع الأذان ثلاث مرات متتالية تمهيداً لصلاة الجمعة التى صليناها ثم أردفناها بصلاة العصر بعد استراحة قصيرة قام فيها بعض خدام المسجد بجمع المال لتوسعة الجامع الكبير (١).

(١) الجامع الكبير تمييزاً له عن بقية المساجد العديدة التى لا تقام فيها جمعة وهو عادة أقدم وأشهر المساجد فى كل مدن تونس.

--- ... الصفحة ٢٤ ... ---

خرجت من المسجد بعد إنهاء الصلاة وكنت ملازماً لأبى لكثرة المصلين ، ففوجئت بجموع المتسولين وهم يتبارون فى عرض عيوبهم وعوزهم ، فهذا أعمى وذاك أعرج وأخرى أرملة وهذا الولد يتيم... كانت تلك الجمعة الأولى ، تلتها جمعات... وإذا بى أنشد إلى تلك الأجواء الروحية العالية. عالم جديد ألججه بكل شوق وحب واستطلاع ، إلى أن صارت حياتى كلها مسجداً ، فما كانت تفوتنى من الصلوات اليومية فى ذلك المسجد إلا صلاة الصبح حيث كان المانع منها صغر سننى فما كان يسمح لى بالخروج فى تلك الساعة

المبكرة.

وكانت تُقام في مسجدنا في الحى العتيق من المدينة دروس يلقيها علينا بعض المشايخ و كنت أحضرها أحياناً وكان يشدنى فيها تلك الحكايات عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وسيرته وإخلاص الصحابة وتفانيهم في خدمة الله ورسوله وتسابقهم على التبرك بفضله وضوءه وبصافه الشريف ، وكان الحديث يدور أحياناً حول قصص الأنبياء والرسل وما جرى لهم مع قومهم من محن وشدائد. كنت بمجرّد سماع هذه القصص أحفظها من ألفها إلى ياءها وأعود لأحكيها لأهلى وأرحامى وأصدقائى ، فتارةً أحدثهم عن جود أبى بكر الصديق ، وأخرى عن الفاروق وشدته في ذات الله ، ومرةً أحدثهم عن إنفاق عثمان ذى النورين ، وثانيةً عن الصحابى المنافق ثعلبة (١) الذى كان من فرط حبه لله ولرسوله لا تفوته صلاة في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى

(١) هو ثعلبة بن حاطب الأنصارى.

--- ... الصفحة ٢٥ ... ---

سُمى بحمامة المسجد وكيف أنه صار من مانعى الزكاة (١) وساءت عاقبته. كما كنت أحفظ أشعارا بالعامية في مدح الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكان بعض الذين يستمعون لى ممن هم أكبر سنّاً يتعجبون من قوّة حافظتى ، حيث كنت أحكى لهم عن أحداث ووقائع وشخصيات لم يسمعوها من قبل.

و كنت أفاخر بأنّ المذهب المالكي هو روح الإسلام ولّبه وأنّه المذهب الوسط بين المذاهب الإسلامية ، فلا هو يميل إلى المعتزلة المتعقلين أكثر من اللازم ولا يقترب من الحنابلة المجسّمة والخرافيين المضحكين. وفي الحقيقة ما كنت أعرف عن المذهب المالكي ولا عن مؤسسه القليل ولا الكثير. لكن هذا ما كنت أسمع دائماً من شيوخنا وكبارنا حيث قالوا فقلنا ، وعلى رأى المثل عندنا «الشنقة مع الجماعة خلاعة» (٢).

ثم ما الحاجة إلى البحث والتنقيب؟! أوليس قد ولدنا مالكيين وعشنا مالكيين ونموت مالكيين؟! أوليس المذهب المالكي من أعظم المذاهب الإسلامية حتى لو أنّ سائلاً سألنا عن معتنقيه لقلنا له بكلّ فخر : إنّ المذهب المالكي يحده شمالاً البحر الأبيض المتوسط أو فقل أوروبا الكاثوليكية وغرباً المحيط الأطلسى أو بحر الظلمات كما عرّفه البحارة

(١) أنظر إلى قوله تعالى فيه : ( وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لئن آتانا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصّٰلِحِينَ \* فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ \* فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ) [سورة التوبة : ٧٥ - ٧٧].

(٢) مثل تونسى عامى ومعناه «كلّ شىء مع الجماعة ممتع حتى المشنقة».

--- ... الصفحة ٢٦ ... ---

العرب القدامى ، وشرقاً المذهب الشافعى بمصر وجنوباً يمتد المذهب المالكي هو موعلاً في إفريقيا مادام هناك مسلمون.

\*\*\*

--- ... الصفحة ٢٧ ... ---

## الصدمة...

وصلنا في دراستنا في التاريخ إلى الحقبة الإسلامية ، حيث بدأنا بظهور الإسلام في مكة ثم هجرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وصحبه إلى يثرب أو المدينة المنورة مروراً بحروب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وفتوحاته وصولاً إلى انتشار الإسلام في جزيرة

العرب ومن ثم شرقا وغربا طيلة فترة الخلافة الراشدة.

كان يوما عاديا حيث كنت جالسا في آخر الفصل ، في حصّة مسائية للتاريخ وبدأ الدّرس. كان أستاذ التاريخ كهلا في عقده الخامس من العمر. كان رجلا نحيفا ضعيف النظر معتقنا للفكر القومي الذي لا يرى الإسلام إلا متوجا عربيا محضا. فالإسلام عربي وابن سينا عربي والرازي عربي وسيبويه عربي بل حتّى البربر عرب وكلّ شيء عربي. والعجب من هذا الفكر الذي يحصر هذه الثقافة الإنسانية الخالدة والشاملة في بوتقة عرقية ضيقة وما هي إلا حلقة من حلقات هذه الحضارة النبيلة. هذا الفكر يذكّرني بطرفة واقعية حدثت لرجل عربي حيث استفزّه بعض الأعاجم وسخروا منه فقال مغضبا : نعم أنا عربي والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عربي... والله عربي. فدهش الحضور وقالوا له : أما كون الرسول عربي فقد تعقلناها وأقررنا لك بها ، لكن كيف يكون الله - تعالى - عربيا؟! فأجاب هذا الرجل ببداهة قائلا : آثاره تدلّ عليه ، أليس القرآن من تأليف الله فعليه يكون الله عربيا!؟

--- ... الصفحة ٢٨ ... ---

بدأ أستاذ التاريخ بالدّرس وكان عن الفتنة الكبرى كما تسمّى ، تكلم الأستاذ عن حرب صفين ، عن بداياتها ، أسبابها ، طولها ، شرستها ، عدد القتلى فيها ، وتكلم عن بشائر النصر التي كانت بدأت تلوح لجيش علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) ، وتحول القتال إلى خيام معاوية بن أبي سفيان والمأزق الذي وقع فيه جيش الشام. رفع الأستاذ رأسه وابتسامات التهكم تملأ فمه المليء بالأسنان الصفراء قائلا : «لكن قام الداهية عمرو بن العاص بحيلة رفع المصاحف حتّى يكفّ عنهم جيش عليّ ويبتئوا البلبل في صفوف جيش العراق. وفعلاً ذاك ما حدث حيث انقلب حال المعركة رأساً على عقب وافتقرت الأمة أحزابا...».

نزل هذا الكلام عليّ نزول الصّاعقة. عمرو بن العاص صاحب رسول الله يحتال ويخادع ويغدر ويمكر؟! عمرو بن العاص الذي يروى فيه شيوخنا دعاء رسول الله له بقوله «اللهم أعز الإسلام بأحد العَمَرَيْنِ» (١) فاستجاب له الله فأسلما معا هو وعمر بن الخطاب. عمرو بن العاص يخدع؟! أهكذا يُعزّ عمرو الإسلام؟! هل الغاية تبرّر الوسيلة في دين الله المبتنى على الإخلاص؟! يا له من موقف عصيب ، أين الحقيقة ، هل ما يقوله هذا الأستاذ المتحامل على الصّحابة الكرام أم ما يقوله شيوخنا الموقرين عن فضائل عمرو بن العاص؟!؟

(١) لكن الحديث الموجود يقصد أباجهل وهو: اللهم أعز الإسلام بأحبّ هذين الرجلين إليك بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب: مسند أحمد ٢/٩٥ ، صحيح الترمذى ٦/٥٦ ، صحيح البخارى ٥/١٥.

--- ... الصفحة ٢٩ ... ---

لكن الأستاذ ما جاء بشيء من عنده ، فهذا الكتاب يقول نفس الشيء. وماذا عن تلك الجلسات التي كنت مواظبا على حضورها والتي كانت تفيض نبلا- من كرامات الصحابة وخاصية المهاجرين والأنصار؟! رجعت ذلك اليوم إلى البيت متأزما وممزقا نفسانيا ولسان حالي يقول : «لَيْتَ شِعْرِي مَا الصَّحِيحُ».

إلى من أذهب؟! من أسأل؟! بقيت متحيرا حتّى عاد أخى فى المساء فسارعتُ بمساءلته عساي أجد عنده جوابا شافيا أو على الأقل مسكنا لثورة الشكّ وناره التي اضطرت فى داخلي.

بادرت أخى قائلا : «ألا تعجب من فعل هؤلاء الصحابة الذين نحترهم ونقدسهم حبّا منا لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟!» - «خيرا ، ما رأيت منهم؟!» قال أخى.

- «ومن أين يأتى الخير وهؤلاء الصحابة يقتل بعضهم بعضا ويشتم بعضهم بعضاً. ثم ما هي القضية أصلا؟! لماذا القتال ولماذا الخداع؟! أكان ذلك للدين؟! أليسوا هم أصل الدين؟! أليسوا هم من علمنا الدين. أم كان ذلك كله للدين وما هكذا الظنّ بهم ، وعلى الدنيا والدين العفى لو كان ذلك كذلك». قلت معترضا على أخى.

أجاب أخى بلغة المحذّر المشفق : «لا تستعجل فى حكمك عليهم فهناك أمور نجعلها وليس من اليسير فهمها». كان جواب أخى بارداً ، باهتا ، غير مقنع بالمرّة ، وكأنّه كان يضرب على حديد بارد. وأنّى له أن يقنعنى أنا الذى عشت كلّ صباى وُقفاً على فضائل الصحابة حيث كنت أرفعهم جميعاً على منزلة الملائكة؟! --- ... الصفحة ٣٠ ... ---

ما الذى جعل الصحابة يدخلون هذه الفتنة العمياء؟! ويا ليت علماءنا أشاروا علينا بمن أشعلها وأجج أوارها. ويا ليتهم كانوا صحابة من الدرجة الثالثة ، لهان الخطب ، لكنهم صفوة الصحابة : عمرو بن العاص ؛ عمّار بن ياسر ؛ طلحة بن عبيدالله ؛ الزبير بن العوام ؛ على بن أبى طالب ؛ عائشة زوجة الرسول الكريم؟! هلاً تعاطوا المسائل بلين ورفق وسعة صدر كما نبه إلى ذلك القرآن والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)؟! أ يصل الأمر إلى قتل وقتال وسفك دماء وهتك أعراض؟! فإذا كان هذا فعل الصحابة الذين ما زال صوت رسول الله يتردد فى آذانهم وما زالت آثاره قائمة ثابتة أمام أعينهم ، فلا لوم إذن على غيرهم ولا لوم علينا إن أتينا بالمنكرات العظام ، فليس بعد سفك الدماء وقطع الرؤوس من كبيرة كما شدّد القرآن على ذلك (١).

ثمّ أليس يروى لنا شيوخنا أنّ القاتل والمقتول من المسلمين فى النار (٢)؟! فعلى هذا فكّل من اقتتل من الصحابة فى النار؟! وإذا كانت المسألة فتنة فكيف انساق وراءها الصحابة بل أعظم الصحابة؟! أليسوا هم رموز التعقل والوعى والإيثار؟! أم أنّ هناك أطرافاً خارجيّة (على رأى أنظمتها هذا العصر) أشعلت

(١) إشارة إلى قوله تعالى : ( وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ) [سورة النساء : ٩٣].

(٢) لحديث يروونه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو : «إذا تواجى المسلمان بسيفيهما فكلاهما فى النار» [البخارى ٩/٩٢ ، وأيضا سنن ابن ماجه ٢/١٣١١ ، كتاب الفتن ] ومسنّد أحمد ٤/٤١٨. --- ... الصفحة ٣١ ... ---

تلكم الفتنة؟! أليس هناك فيمن تقاتل من الصحابة مبشّرون بالجنة (١) فكيف نفعل بحديث القاتل والمقتول فى النار؟! لم يبق إلّا القول بأن الصحابة أعلى وفوق شرع الله وأنّ لهم صكوك غفران لا تضرّ معها سيئته؟! وعليه يكونون فوق النبى نفسه الذى قال تعالى عنه : ( وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ \* ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ) (٢). أو قوله : ( لئنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ) (٣).

يا لها من حيرة ويا له من مأزق استعصى حلّه علىّ وأنا ابن الثالثة عشرة سنة من عمرى. ثمّ اسأل من شئت من شيوخنا فلا ترى عندهم أى جواب مُقنع غير أنّهم يقولون إنّ تلك كانت فتنة والصحابة اجتهدوا وأخطأوا أو أصابوا وكلّهم مأجورون وهذا خطّ أحمر لا يجوز لنا تعديده (٤). خطّ أحمر لا يجوز لنا تعديده. هذا ما عندهم من العلم. سياسة

(١) مثل طلحة والزبير وعلى وعثمان وغيرهم على ما تروى الصّحاح والمسانيد؟!

(٢) سورة الحاقة : ٤٤ ، ٤٦.

(٣) سورة الزمر : ٦٥.

(٤) يقول السفارينى النابلسى فى كتابه ( نظم الدرّة المضيئة فى عقد أهل الفرقة المرضية ) فى الصحابة:

واحذر من الخوض الذي قد يزرى ... بفضلهم مما جرى لو تدرى

فإنه عن اجتهاد قد صدر ... فاسلم أذلّ الله من لهم هجر

--- ... الصفحة ٣٢ ... ---

النعماء ودرّس الرأس في التراب. نعم هو خطّ أحمر وما أيسره من جواب لكلّ سائل وكفى الله المؤمنين القتال.

فالآن يا من ملأتم الخافقين بفضائل وعصمه وعظّمه كلّ الصحابة أجمعين حلّوا لنا هذه العقدة. ورحم الله المتتبي القائل :

أغايه الدين أن تحفوا شواربكم ... ..

نعم لقد صار الدين حفّ شوارب وإطلاق لحى ولفّ عمائم وهروب إلى الربوة؟! أعتبرون قتل الألوّف وحرّق الدور ووو... اجتهادا

؟! هل تحكمون بارتداد مانع الزكاة وتزعمون الأجر لمن قتل النفوس وحزّ الرؤوس؟!!

لكنى تركت حيرتى داخل القمقم ودست على جراح نفسى وغضيت الطرف... ومضيت مع القطيع...

\*\*\*

--- ... الصفحة ٣٣ ... ---

### هل أناك الحديث عن الشيعة؟!!

لا زلت أذكر تلك الحكايات التي تُحكى عن الشيعة عندنا. إنهم قوم لم أرهم ولم يرون، وكأنه لا يجمعنا وإياهم كوكب واحد.

قوم على ما سمعت - وإن جاءكم فاسق... - يتهمون جبرائيل (عليه السلام) بخيانة الأمانة، فعوض أن ينزلها على بنى علي بن أبي طالب

(رضى الله عنه) أنزلها خطأ - أو ربّما حسدا؟! - على محمّد. وهم يعظّمون عليّا، حتّى إنّ البعض من فرقهم تعبده من دون الله.

كانت هذه الحكايات تجول في خاطري وأنا لا ينقضى عجبى من هؤلاء القوم الذين لم أر واحدا منهم طيلة حياتى.

عجيب أمر هؤلاء القوم أليست لهم عقول؟! كيف يعتقدون هكذا اعتقادات؟! ألا رجل منهم رشيد يكفّ عن غيه؟!!

... كنّا يوم متحلّقين حول ابن عمى الذى عاد من سفره من ألمانيا حيث يعمل، وجرى حديث عن الشيعة فقال ابن عمى إنهم قوم

متطرفون فى دينهم وإنّ «تلفزيونات» الغرب تعرض أحيانا ما هم عليه من منكرات وخاصة ما يفعلونه بأنفسهم فى يوم عاشوراء، فإنهم

يشدخون رؤوسهم ويمزقون ظهورهم حتّى تسيل منهم الدماء غزيرة حزنا على الحسين بن على (رضى الله عنه).

لا نملك إلا الضحك بقم عريض على هؤلاء الجهال الذين يفعلون

--- ... الصفحة ٣٤ ... ---

بأنفسهم ما لا يفعل العدو بعده. إنّ سيدنا الحسين (رضى الله عنه) لا يرضى منهم بهذه الفعال الشنيعة، زد على هذا أنّ الغربيين

سيشّعون على المسلمين بما تفعله هذه الفرقة وسوف لن يقتنعوا بقولنا إنّ الإسلام هو دين التسامح والصفاء. لكن ما الحيلة فهؤلاء

الشيعة بعيدون عنّا آلاف الأميال وإلا لكنا أقنعناهم وأعدناهم إلى جادة الصواب.

والحمد لله على نعمته فنحن مالكيون وأصحاب مذهب صاف كزرقة السماء. أوليس مالك بن أنس إمامنا وهو إمام دار الهجرة ومن

قيل فيه: «لا يُفتى ومالك فى المدينة؟!» أوليس الشيخ الإمام سحنون هو ناشر المذهب فى ربوع مغربنا العربى الكبير؟!!

\*\*\*

--- ... الصفحة ٣٥ ... ---

### الضالّة

... وتمضى سنين وسنين...



كنت فى بيت أحد الأصدقاء وجرى ذكر فلان - جارهم - فقال أحد الحاضرين معلّماً : «إنه شيعى» وقال : «إنهم - أى الشيعه - يشتمون الصحابه». فوقع كلامه فى نفسى موقعا كبيرا وقلت أو فى بلادنا شيعه؟! ولماذا هذا الإقتران بين الشيعه وسب الصحابه؟! فتشوّقت نفسى للإلتقاء بأحد هؤلاء الشيعه حتّى أسأله سؤالاً واحداً : لماذا تشتمون الصحابه؟!!

أى كنت أقصد ما هو الداعى الذى يجعلهم يشتمون الصحابه وإلا فلا بدّ من أن يكون هناك توجيه أو سبب قوى لديهم حتّى تصبح هذه التّهمه لهم كبيره ، ثم إنّ حبّ الإطلاع الذى كان عندى حول الملل والنحل - وما زال - كان وراء رغبتى فى الإلتقاء بأحدهم لكن للأسف لم تتوفّر الفرصه لذلك حيث كنت منشغلا طوال تلك السّينه بالإستعداد والتحضير لامتحان البكالوريا (١) ، حيث يعتبر أهم امتحان شعبى ورسمى فى تونس على الإطلاق. وذات يوم من أيام الشتاء التقيت بأحد زملاء الدراسه وتذاكرنا فى انشغالات الإمتحان وغيرها إلى أن دار الحديث حول الشيعه فقال لى هذا الصديق مبتسما بأنّ زعيم الشيعه فى تونس ضُبط فى أحد

(١) هو امتحان الثانويه العامه فى بلاد المشرق العربى.

--- ... الصفحه ٣٦ ... ---

شواطىء تونس يحدّق فى النساء بمنظار!!!

فأجبتة بكل عفويه ممزوجه بكثير من الدهشه والإستغراب : «وهل هناك طائفه شيعيه فى تونس حتّى يكون لها زعيم؟!»

أجاب الصديق قائلاً : «ألا تعرف بأنّ فلاناً وفلاناً (بعض أصدقائى ومعارفى) صاروا من الشيعه؟!»

فازدادت دهشتى وقلت : «فلان شيعى؟! لا يمكن ذلك ، ماذا حدث له حتّى يصبح كذلك؟!»

افترقنا وأنا أضحك فى نفسى من أحد أصدقائى الذى صار شيعياً ولكنى قلت إنّها نزوه من نزواته ، فكما يتأثر بعض الشّباب عندنا بفلان المطرب أو بفلان الرياضى أو بهذا اللباس أو بتلك الثقليه ، فهذا الصديق يبدو أنه تأثر بفكر الشيعه من باب «خالف تُعرف». ثم عزمت فى الأثناء أن ألتقى بهذا الصديق «المُستشيع» حتّى أبحث معه هذا الموضوع ولتتوفّر لى الفرصه القديمه لمعرفة فكر الشيعه «فربّ صدفه خير من ألف ميعاد».

لم تمض إلاّ -أيام يسيره حتّى التقيت به فى أحد شوارع حيناً. سلم علىّ ودعانى إلى بيته ، دخلنا البيت ثم ولجنا إلى غرفته الخاصيه الصغيره فكان ممّا قلت له : «هل جُنتت؟! ما هذا التحوّل الذى أصابك؟!» ضحك - وكان ذا شخصيه مرحة ظريفه - لكن لم يجبنى صراحه. لمحت على مكتبه كتاباً كبيراً شدنى حجمه فى البدايه لأنّ من عادة كتابنا الإسلاميين فى العصر الحاضر أن تكون لهم «كتيبات» فيها مقدّمه طويله ودعاء أطول فى

--- ... الصفحه ٣٧ ... ---

آخر الكتاب وينتهى الكتيب. ثم قرأت عنوان الكتاب «المراجعات» (١) فلم أفهم معناه ، هل هو من الرجوع أم من المراجعة؟! لكن فهمت أنه كتاب شيعى لأنّ صورته المؤلّف بعمامته السوداء كانت فى الصفحه الثانيه داخل الكتاب.

لم تطل بنا الجلسه ، حيث كان عنده أحد الضيوف فتواعدنا على لقاء آخر.

فى الموعد اللّاحق أردت أن أخرج بصديقى من حاله الهزل إلى حاله الجدّ فسألته أسئله من أهمّها لماذا يتحرّش الشيعه بالصحابه - هذه النخبه التى ما وجد ولا يوجد إلى يوم القيامة مثلها - وكنت ما زلت غير متفهم كون صديقى صار فعلاً شيعياً.

قال صديقى مجيباً وكأنه يريد أن يدخل بى الموضوع من حيث «تؤكل الكتف» فقال : «هل تعرف حديث العشره المبشرين بالجنّه (٢)؟!»

قلت : «نعم لقد حفظت أسماءهم وعرفت سيرتهم منذ نعومه أظفارى».

فقال لى : «سمّمهم لى؟»

أجبت ببداهة: «هم الخلفاء الأربعة الراشدون ، أبوبكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص وعبدالرحمان بن عوف وسعيد بن زيد وبلال في قول وطلحة بن عبيدالله

(١) المراجعات كتاب قيم للعلامة السيد عبدالحسين شرف الدين الموسوي اللباني وهو يمثل مناظرات في العقيدة والإختلافات بين السنة والشيعه وهو مفيد لكل باحث عن الحقيقة.

(٢) هو حديث العشرة المشهور. أنظر سنن ابن ماجه ج ١ ، فضائل العشرة.

--- ... الصفحة ٣٨ ... ---

والزبير بن العوام».

قال لي : «طيب هل تعرف الحديث القائل بأنه إذا اقتتل مسلمان فالقاتل والمقتول في النار (١)؟»

قلت : «نعم وماذا في هذا؟!»

قال : «على هذا القول يكون عثمان بن عفان وعلي وطلحة والزبير بن العوام وغيرهم من أهل النار؟!»

قلت : «كيف ذلك؟!»

قال : «دقق جيداً في معنى الحديثين وسترى التناقض. فلو صحّ حديث العشرة لا يصحّ حديث القاتل والمقتول في النار ولو صحّ هذا الثاني لم يصحّ الأول». صمّتُ هنيهة أدقّق في هذا الكلام المنطقي ، العارى عن الزيف والزخارف والتمتين عقلا.

أجبت بصوت باديء الضعف : «كيف الحيلة؟!»

قال : «من غير المعقول أن يكون جميع الصحابة كلهم ، من أسلم في أيام الدعوة الأولى في مكّة ومن أسلم في المدينة ومن أسلم بعد الفتح كلهم متساوون وهذا أمر بديهي ، فليس من تربّي في حجر الرسالة من يومها الأول كعلّي مثل معاوية الذي أسلم يوم فتح مكّة.

ولا أبو سفيان بن حرب كصحابي مثل عمّار بن ياسر. هذا شيء طبيعي وبديهي في كلّ دعوة سماوية كانت أو وضعيّة.

ثم إن صحبة هؤلاء وهؤلاء للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ليست واحدة وعليه

(١) البخارى ٢/٩٢ ، سنن ابن ماجه ٢/١٣١١ كتاب الفتن ، مسند أحمد ٤/٤١٨.

--- ... الصفحة ٣٩ ... ---

تكون النتيجة أنّ الصحابة مختلفون ومتفاوتون في علمهم ، في جهادهم ، في فهمهم للقرآن والسنة... فليس الأمر على ما نحن عليه اليوم ، فمن فاتته صحبة عشر سنوات للرسول لا يتيسّر له بسهولة أن يساوى من سبقه ، خاصّة مع عدم توفر وسائل الطباعة والتسجيل وغيرها كما هو الحال عندنا اليوم.

هذا كلّ من جانب ومن جانب آخر إن الصحبة وإن كانت فضيلة في نفسها لأنّ رؤية أو معايشة أعظم الرسل (صلى الله عليه وآله وسلم) شرف عظيم جدّاً ، إلا أنّ الصحابة هم أول المكلفين بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا يمكن بحال أن يكونوا فوق الشرع ، ثم لو كانت الصّحبة ماحيةً لكلّ ذنب لكانت زوجية زوجات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أعلى وأفضل في حين أنّ الله لم يقرّ ذلك (١) ولا رسوله (٢).

وعلى هذا فنخلص إلى القول بأنّ الصّحبة غير عاصمة لصاحبها لا من الضلال ولا من العذاب والصحابة كما دلّ القرآن والسنة فيهم من بلغ مراتب الملائكة وفيهم من انحطّ إلى أسفل سافلين».

اكتفيت بهذه الأدلّة وفي الواقع فتحت لي آفاق أخرى كانت مسدودة في وجهي لعقدة الخطّ الأحمر الوهمي الذي زرعه فينا كبراًؤنا

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ( يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين كان ذلك على الله يسيرا \* ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحاً نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما ) [سورة الأحزاب : ٣٠]. وعلى هذا يمكن لنا أن نقول إن مضاعفة العذاب على الصحابي الراكب للكبائر وارد أيضا؟!

(٢) أنظر حديث الحوض مثلا. البخارى ٨/١٥١؛ صحيح مسلم ٤/١٧٩٢ - ١٨٠٠، كتاب الفضائل مسند أحمد ٦/٥٥، حديث ٤٠٤٢. --- ... الصفحة ٤٠ ... ---

فإن بحثى فى «ملفات الصحابة» ليس ذنباً أو عيباً بل لأكون على بصيرة. وكيف يكون هذا الشيء حراماً وممنوعاً وقد قال تعالى فى كتابه الكريم دائماً للكافرين الذين اتبعوا تقاليدهم وصموا عقولهم: (إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهُتَدُونَ) (١). ثم إذا كان سفك الصية حابة للدماء ورميهم لزوجة من زوجات الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بالفاحشة وشتهم بعضا لبعض اجتهادا ومأجورين فيه أجرا واحدا، فليكن هذا البحث اجتهادا منى وإن أخطأت الحقيقة، أم أن المسألة «حلال عليكم حرام علينا» كما يقول المثل عندنا.

ووجدت بعد تحليل ونظر أن الصية حابة لا- يخلو حالهم من أوجه ثلاث: فهم إما أن يكونوا كلهم عدولا وإما أن يكونوا جميعا قد هلكوا بما جرى بينهم من فتن، أو أن هناك حلا وسطا ومنطقيا وهو أن بعضهم عدول وبعضهم غير عدول.

\*\*\*

(١) سورة الزخرف : ٢٢.

--- ... الصفحة ٤١ ... ---

### أبوهريرة... سر آخر.

كثيرا ما كنت أسمع هذه الجملة عند حضورى لصلاة الجمعة فى مسجد الجمعة فى مدينتى قابس (١) وذلك بعد صعود الإمام للمنبر وقبل بدء الخطبة وهذه الجملة هى... عن الضحاک... عن أبى هريرة (٢) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): من قال لصاحبه أنصت فقد لغى... الحديث.

كنت أسمع بهذا الرواية ولكن ما كنت أعرف شخصيته بالتفصيل، بل كنت أظن أن اسمه الفعلى هو أبو هريرة فتبين أن هذه كنيته لأنه كانت عنده هزة لا تفارقه. جرى ذكر أبو هريرة يوماً فى نقاش آخر لى مع صديقى الشيعى فقال صديقى معلقاً: - «هو كذاب وقد وضع أحاديث كثيرة ونشرها على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد أرضى بها جابرة عصره ملوك بنى أمية ك معاوية ومروان.

والعجيب أنه لقله صحبته للرسول قياسا بباقي الصية حابة كعللى (رضى الله عنه) وعمر وأبو بكر فإنه كان أكثرهم حديثاً، بل فاق زوجات الرسول فى الرواية مما جعل الباحثون يشكون ويطعنون فى صدق ما روى».

تلقيت كلامه هذا كضربة كهربائية سرت فى بدنى، لأنى كنت ما

(١) مدينه على الساحل الجنوبي الشرقى للبلاد التونسية سكنها البربر وسماها الروم باسم Tacaps عرت إلى قابس - قطب صناعى حالياً.

(٢) هو أبو هريرة الدوسى اليمانى لم يضبط اسمه فى الجاهلية ولا فى الإسلام.

--- ... الصفحة ٤٢ ... ---

زلت لم أهضم بعد صدمتي في الصحابة عموماً رغم اقتناعي بما قاله صديقي عنهم.

قلت وأنا متترس نفسيًا بما بقي لي من شجاعة أعلم في داخل علم اليقين أنها ستتهاوى أمام معول منطق صديقي الشيعي: «إنّ أبا هريرة أعظم راوية عندنا حتى سُمي براوية الإسلام فكيف ترميه بهذا الإفك ولماذا هذا التسرع في الأحكام؟!»  
أجاب صديقي بهدوء: «خذ بعضاً من حديثه حتى ترى العجب، ثم قبل ذلك هل تعلم متى أسلم أبو هريرة؟!»  
سكت ولم أحر جواباً.

«أسلم أبو هريرة سنة سبع للهجرة بعد غزوة خيبر وكان من أشهر أصحاب الصفة (١) بل وعريفهم.  
وقد أحصى جميع ما رواه فوجد خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعين مسنداً (٥٣٧٤) وكان جميع ما رواه الخلفاء الراشدون الأربعة من الحديث لا يمثل سوى سبع وعشرين بالمائة (٢٧) لمجموع ما رواه أبو هريرة الذي قلت صحبته بالنسبة إليهم، وهذا أول الوهن.  
ويا ليت الأمر وقف عند هذا الحدّ لكنّه صرّح بنفسه أنّه لو قال كل ما عنده لقطع بلعومه (٢).  
ويا ليت ثم ياليت وقف الأمر عند هذا الحدّ بل أنظر ملياً في

(١) أصحاب الصفة كانوا من فقراء المسلمين الذين ما كان لهم عشائر ولا منازل وكان المسجد صفتهم ومثوهم.  
(٢) صحيح البخاري، باب حفظ العلم من كتاب العلم الجزء ١ ص ٤١.

--- ... الصفحة ٤٣ ... ---

أحاديثه حتى تظن نفسك أمام كم هائل من الخرافات والأساطير وليس أحاديث نقلت عن رسول العقل والقلب (صلى الله عليه وآله وسلم)».

كنت أتقلب يمنة ويسرة وأشعر بالإختناق وأنا أتمنى أن لا يكشف لي صديقي أي حديث من أحاديث أبي هريرة التي نعتها بأقبح الأوصاف فإنّ نفسي تنازعني كي لا أذعن وعقلي يدعني للإطلاع حتى أكون على بينة من أمرى.  
- «خذ لك حديث موسى (عليه السلام) وملك الموت مثلاً» - قال صديقي.  
قلت: «هات لأسمع منك».

قال: «أخرج الشيخان في صحيحهما بالإسناد إلى أبي هريرة قال: جاء ملك الموت إلى موسى (عليه السلام) فقال له: أجب ربك.  
قال: فلطم موسى عين ملك الموت ففقاها، قال: فرجع الملك إلى الله تعالى فقال: إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت ففقا عيني، قال: فردّ الله إليه عينه وقال: أرجع إلى عبدى فقل: الحياة تريد فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما توارت بيدك من شعرة فأنك تعيش بها سنة (١) الحديث».

ثم تبسم صديقي وأردف قائلاً: «كل ما في هذا الحديث مخالف للعقل والنقل. فموسى (عليه السلام) نبى مدحه الله في كتابه الكريم ووصفه بأحسن الأوصاف وهو بعد من أولى العزم الخمسة (عليهم السلام) وهذه الدرجة لا يتصوّر معها خوف من موت. ثم ما ذنب ملك الموت؟! وهل كان جسداً مثلنا

(١) صحيح مسلم: ج ٤، كتاب الفضائل، فضائل موسى (عليه السلام)، ص ١٨٤٢.

--- ... الصفحة ٤٤ ... ---

يبصر ويعمى ويؤثر فيه الصفع واللطم؟! ثم ألم ينقل لنا كتاب الله البعض من أحكام التوراة التي أنزلت على موسى (عليه السلام) وفيها يقول الله: (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصًا ... ) (١).  
فلماذا لم يقتصّ ملك الموت من موسى (عليه السلام) على افتراض صحّة القصّة؟! هل يخالف موسى شريعته وجبرها لم يجفّ بعد

؟! أنظر وأعمل عقلك بعيدا عن الأهواء والإمعية (٢) ثم لا تظن أن هذا الحديث كبوة جواد بل هناك ما لا يحصى مثله (٣) بل إن أبا هريرة روى أشياء وتحدث عن أحداث لم يعيشها مثل روايته (٤) عن رقية بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) التي ماتت في السنة الثالثة للهجرة بينما أسلم أبو هريرة سنة ٧ هجرية (٥)».

مضى صديقي لسبيله وتركني في حيرة من أمري...

\* \* \*

(١) سورة المائدة : ٤٥.

(٢) من الإمعة : وهو الذي يجارى ويقول ويؤمن بكل ما يقوله الناس فهو معهم في كل شيء.

(٣) أنظر صحيح البخارى ٤/١٧٠ ، ١٨٤ ، ٧٥ ، ١٥١ ، ١٥٥ ، ١٥٨ ، ١٦٩ ، ٦٣ ، ١٩٠ وغير ذلك فى الصّحاح والمسائيد.

(٤) لأن رقية ماتت سنة ٣ هجرى وأسلم هو سنة ٧؟! أنظر الإصابة ٧/٢٠٢ و ٨/٨٣.

(٥) أسلم أبوهريرة كما هو مشهور سنة ٧ للهجرة حيث قدم على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فى خيبر. أنظر الطبقات الكبرى لابن سعد فى ترجمته لابي هريرة: ٤/٥٢.

--- ... الصفحة ٤٥ ... ---

## زخرف من القول

جمعنى لقاء جديد بصديقى الشيعي وكانت أغلب لقاءاتنا غير مبرمجة وغير منتظمة لانشغالى ذلك الوقت بالتحضير لامتحان آخر السنة.

قال لى صديقى على حين غرة وبدون مناسبة : «هل سمعت بحديث «الميت يعذب ببكاء أهله عليه (١)؟!»

أجبتة ببداهه : «نعم» وكنت فى نفسى أستجمع قواى لأننى علمت أننى مقبل على «كربة» أخرى يخفيها لى أيضا هذه المرة.

قال : «ماذا تقول فيه؟!»

قلت : «ما رأيك أنت فيه؟!» وكنت أقصد أن أترك له الكلام حتى لا يلاحظ ضعفى وحتى لا يخرج من فمى كلام يسخر به منى.

قال : «إنه مخالف لكتاب الله دستورنا الأوّل والرئيسى ، ومخالف للعقل بل حتى لعدل الله تعالى».

قلت : «رويدا رويدا».

قال : «أما مخالفته لكتاب الله ، فالله تعالى يقول : (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ

(١) صحيح البخارى ٢/١٠٦ ، كتاب الجنائز ومسند أحمد ١/٤١.

مع أن رسول الله قد نهى عمر عن إسكاته لنساء كنّ يبكين قتلاهن؟! [مسند أحمد ٢/١١٠].

--- ... الصفحة ٤٦ ... ---

وَزَرٌ أُخْرَى (١) ويقول : (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهينَةٌ) (٢) وكذلك : (وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ) (٣) فالميت إذا مات انقطع عمله ، نعم إذا سنّ سنة حسنة كماورد أو أحدث بدعة يبقى له الأجر أو عليه الوزر ، أما أن أبكى أناعلى ميت ويلحقه هوالعذاب فليس هذا من المنطق ولا من العدل فى شىء».

وبقدر ما أعجبنى هذا المنطق الذى يتكلم به صديقى ، إلا أنّنى كنت أشعر بهزيمة أخرى ، فما زالت أحجار بنائى تنقض وتهدم الواحدة تلو الأخرى. قلت فى نفسى : «صحيح ما ذنب الميت؟!».

ورجعت بذاكرتي إلى أيام طفولتي حيث كانت تخرج جناز لأقارب لي أو لجيران فكان صراخ النسوة يعلو ويشتد حتى أن بعضهن تشق ثيابها وتخدش خديها حتى تسيل الدماء ، وما زلت أذكر تلك الصورة المرعبة التي كانت عليها خالتي عندما ماتت جدتي حيث سال الدم من وجهها إلى الأرض وظلت آثار تلك الخدوش إلى شهور بعد ذلك باقية في وجهها ، وكان بعض الرجال يصيحون أمام حالة الصياح بكلام غاضب يدعوهم إلى الكف عن الصياح والبكاء قائلين : «لقد أحرقت الميت» «ارحموه» و كنت وأنا صبي أشفق على ذلك الميت وأقول : إن صياح أهله هو بمثابة البنزين الذي يسكب بل هو وقود النار التي ستحرقه.

كما حدثني بعض المؤمنين أنه شهد جنازة امرأة جيء بها إلى الحرم

(١) سورة فاطر : ١٨.

(٢) سورة المدثر : ٣٨.

(٣) سورة العاديات : ١٠.

--- ... الصفحة ٤٧ ... ---

النبوي الشريف وعند الخروج بها إلى البقيع وإذا بطفل أحسبه ابن تلك المرأة - يقول محدثي - تخرج من عينيه دمعتان أفلتتا رغماً عنه ، فجاءه رجل جلف وصفع ذلك الطفل المسكين قائلاً له بعد أن أكد له رجولته : «تعذب أمك ؟!».

قال صديقي مسترسلاً : «ثم لو صحَّ هذا الحديث فعليه يكون رسول الله أول من خالفه عندما بكى بكاء شديداً على ابنه ابراهيم الصَّغير (١) حيث بكى (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى أن ابتلت لحيته الكريمة. وكذلك بكى على عمه حمزة بكاء مراً وتأثر من قلَّة البواكي عليه. وكذلك بكى الصحابة على رسول الله بكاء لم يبكه أحد من العالمين.

بل إنَّ البكاء في نفسه ممدوح (٢) خاصَّة إذا كان من خشية الله وحزننا على المؤمنين «ولا نقول إلا ما يرضى الله» كما ورد عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والحديث المذكور مخالف للفطرة السليمة والتركيب البشرية للناس عموماً ، والبكاء كما يؤكد الأخصائيون هو عملية تنفيس ورفع للغصص التي قد تؤدِّي للهلاك إذا انحبست في داخل المرء.

على أي حال نحن لا نشك في هذا الحديث فقط بل في كثير كثير من الأحاديث فالله تعالى لم يضمن لنا عدم تحريف السنَّة الشريفة بل ضمن فقط عدم تحريف كتابه الكريم بقوله تعالى : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذُّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (٣) وكذلك الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حدَّرننا من

(١) سير أعلام النبلاء - السيرة النبوية - ٢/٢٨٨.

(٢) يعقوب كان من أشهر البكائين ولم يذم الله فعله ذلك في سورة يوسف.

(٣) سورة الحجر : ٩.

--- ... الصفحة ٤٨ ... ---

الوضاعين الذين سيكثر من بعده وتوعد كل من كذب عليه حديثاً بمكانه في النار»(١).

\*\*\*

(١) أنظر سنن ابن ماجه ١/١٣ ، باب التغليظ في تعمد الكذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومسنند أحمد ١/١٦٥ و

٢/١٥٩.

--- ... الصفحة ٤٩ ... ---

## صفحة رابعة !!

قال صديقى وهو يستفزنى ويجزنى إلى موضوع جديد : «ماذا تقول فى أبى طالب؟!»

قلت : «إنه عم رسول الله وكفيله وناصره بقلبه ولسانه ويده حتى أنه رفض تسليم ابن أخيه إلى طغاة مكة الذين يقول فيهم الله لفرعتهم : (إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا) (١) كذلك سَمَى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) العام الذى مات فيه عمه أبو طالب وزوجته خديجة أم المؤمنين بعام الحزن ، لما كانا يمثلانه من دعامة وحصن للدعوة الجديدة وصاحبها. لكن مع الأسف مات أبوطالب مشركا ولهذا يروى شيوخنا أنه - كرامة من الله لحمايته ابن أخيه - فى ضحضاح من نار وتحت رجله جمرتان يغلى منهما دماغه».

ابتسم صديقى ابتسامه عريضة وقال لى : «ألا تحتمل أن أباطالب كان مؤمنا يخفى إيمانه؟!»

قلت : «من ناحية الإحتمال لا يمتنع هذا الأمر».

قال صديقى : «إن كل الشواهد والقرائن تثبت بلا أدنى شك أن أباطالب كان مؤمنا بل من السابقين إلى الإسلام والرسول».

(١) سورة المزمل : ١٥.

--- ... الصفحة ٥٠ ... ---

قلت والعجب يطبع ملامحى : «كيف ذلك فهذا مخالف لما اشتهر عندنا؟!»

قال : «وهل كل ما اشتهر صحيح؟! أليس متسالما عند النصارى أن المسيح ابن الله وأن المسيح صلب وو.؟!»

قلت : «هلا أوضحت لى الأمر؟!»

قال : «هل تعرف أبالهب؟!»

قلت : «أتسخر منى؟! كيف لا أعرفه وقد نزلت فى حقه سورة تتوعده بالعذاب الأليم؟!»

قال : «وما هى قرابة أبى لهب بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)؟!»

قلت : «هو عمه أخو والده».

قال : «إذن ما الذى يجعل أباطالب مجاهرا بعداوتة للرسول والرسالة وما الذى يجعل أباطالب حاميا مدافعا عن الرسول والرسالة؟!»

قلت : «ما الذى تريد أن تصل إليه بعد هذه المقدمات؟!»

قال لى بنبرة حادة : «يا أخى هل يُعقل أن يأتى شخص ببعيدة تخالف كل ما يعتقد به أهل وقوم ذلك الشخص ثم يأتى عم ذلك الشخص وبكل سهولة فيغض طرفه على هذا الشخص وهو يراه صباحا مساء يُسفه دينه ويحقر من شأن عقيدته؟! وعلى افتراض أن الأمر كان هكذا ، ما الداعى أن يتحمل هذا العم ما تحمله من معاداة قومه ومن إبعاد إلى شغب خارج مكة ومن عزلة اقتصادية و... هل كل هذا للرحم؟! وإذا كان كذلك فما بال أبى لهب لم تثره الرحم ولا القرابة؟!»

قلت : قد يحدث هذا مع ما نعرف للعصبية وللرحم وللقبيلة من

--- ... الصفحة ٥١ ... ---

قيمة فى الجاهلية ، بل ما للأحلاف بين الأبعد من أهمية.

قال : «لنقبل ما قلت بتمامه ، فما الداعى لأن يحزن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على عمه حتى سُمى عام وفاته ووفاء خديجة بعام الحزن؟!»

قلت - وفي نفسي أنني وجدت المخرج والدليل الذي مافوقه دليل - : «إن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حزن على عمه لأنه انتهى إلى النار وبئس المصير».

استدرك صديقي ببدهة قائلا : «إذن لماذا لم يحزن على عمه أبي لهب ، بل إنه كان يتلو على مسامعه ومسامع غيره سورة المسد بما فيها من وعيد؟! حتى قال أبو لهب إن محمداً قد هجانى. ثم كيف يرضى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يعيش تحت ظل كافر وفي منعته وهو يتلو قول الله تعالى : (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) (١)؟! وكذلك قوله تعالى : (لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ) (٢) وقوله : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ) (٣).

وكيف لا- يثور أبو طالب وهو يرى أن دعوة ودين ابن أخيه مس أقرب الناس إليه وهو ولده على (رضى الله عنه) الذي كان ملازماً للرسول ملازمة الظل لصاحبه؟!

ثم من بعد على ولده جعفر بل وحتى زوجته فاطمة بنت أسد؟!

ثم ألم تقرأ قول الله تعالى في مؤمن آل فرعون حيث يقول :

(١) سورة الحجر : ٩٥.

(٢) سورة آل عمران : ٢٨.

(٣) سورة الممتحنة : ١.

--- ... الصفحة ٥٢ ... ---

(وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ) (١).

فما المانع أن يكون أبو طالب كذلك بما له من مكانه اجتماعية هامة وهو أحد سادة بني هاشم وسادة قريش؟!

والشيء الذي لا ينقضى له عجبى هو إصرار علمائنا على إسلام أبي سفيان.

قلت : «أولم يسلم أبو سفيان؟!»

قال صديقي : «إن الجماعة جعلوه مسلماً قد حسن إسلامه ، كما حسن إسلام زوجته هند البتول ، وكذلك ابنهما معاوية خال المؤمنين» كل أولئك ربحت تجارتهم بعد أن حاربوا الإسلام من يوم مولده إلى يوم فتح مكة ولكن أبا طالب مات مشركاً.

هل رأيت هذه الصفقة المربحة؟! - قال صديقي ثم واصل كلامه قائلاً - : «رجل من أعمدة الشرك وأئمة الكفر الذين ما قصرُوا في

شيء لمحاربة الدين الجديد بأموالهم وأحلافهم وسيوفهم ، تراهم الآن من أهل الإيمان والجنة. ومتى اسلم أبو سفيان؟! نعم عندما

رأى جيوش الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مقبلة نحو مكة ورأى أن كل ما فعله في سبيل محاربة هذا الدين صار هباءً منثوراً.

«يا أخى ألا تعرف أننا نحكم بالظاهر فما المانع أن يكون أبو سفيان وغيره من الطلقاء (٢) أسلموا وآمنوا فعلاً؟!» تساءل صديقي.

(١) سورة غافر : ٢٨.

(٢) الطلقاء : جمع طليق ، وهم الذين وقعوا تحت أسر رسول الله وجيش الفتح وقال لهم (صلى الله عليه وآله وسلم) «اذهبوا فأنتم

الطلاق» وكان من أبرزهم معاوية بن أبي سفيان (كاتب الوحي!!).

--- ... الصفحة ٥٣ ... ---

- أجب صديقي معترضاً - :

«هذا جائز». أجاب صديقي : «لكن إذا نظرت إلى قرائن وظروف أحاطت بحياة أبي سفيان لعلمت أنه من المحال أن يؤمن أبو سفيان.

ألم تُفجع كل المعجزات والأدلة التي سمعها وغيره من الرسول منذ بزوغ فجر الإسلام في مكة إلى فتح مكة هذا الرجل حتى يسلم



إسلاما مشبوها؟! إنه في الواقع استسلم ولم يسلم.

وهكذا ترى يا أخي كيف أن كافل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وحاميه ومانعه أبو طالب في ضحضاح من نار ، وعدو الله ورسوله جبار قريش ورأس الكفر ومن سعى طوال عمر الدعوة إلى محاربتها ، أبو سفيان يتنعم مع هند «البتول» في الجنة مع الأنبياء والصدّيقين والشهداء ، يالها من صفة ما كيا فيلتيه مريحة.»

سكت اقتناعا بما قال صديقي حيث لم أجد لما قال رداً ولا استدراكاً ومضيت وأنا أدعو الله أن يهديني إلى الحقّ حيثما كان ، لكن... على بصيرة.

\*\*\*

--- ... الصفحة ٥٤ ... ---

--- ... الصفحة ٥٥ ... ---

## الصلاة عمود الدين

كانت آثار الحيرة بادية على وجهي وأنا ألج مسجد الحى وأتطلع في صفوف المصلين لقد كان منظرا مألوفاً لدى ، لكن نقاشاتي مع الشيعة حول أمور عدّة جعلت هذا المنظر غريباً علىّ وكأني أراه للمرة الأولى.

مجموعة من المصلين تقف للصلاة أمام بارئها ، ويكاد لا يجمعها في صلاتها شيء إلا القبلة. فبعض أسدلوا أيديهم والبعض الآخر يجمعها على بطنه ، وهذا يرفعها مابين صدره وبطنه وذاك رفعها كثيراً حتى كادت تلامس أسفل رقبته. قفزت في ذلك الحين إلى ذهني أفكار وتواردت تساؤلات. قلت في نفسي : ألسنا جميعاً مسلمين؟! بل ألسنا جميعاً على مذهب واحد؟! فما الداعي لهذا الاختلاف ؟ عجيب ! أوصل بنا الحال إلى أن نختلف حتى في الصلاة؟! ماذا بقي لنا من موارد الإتفاق؟!

أليست الصلاة عمود الدين؟! ألسنا أمرنا أن نفتدى برسول الله في كل شيء؟! أليس يأمرنا القرآن بـ (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا) (١) وقلت في نفسي : «ليتني أعرف الطريقة التي صلّى بها رسول الله وعلمها صحابته ، هل صلّى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) متكثفاً جامعاً يديه أم صلّى مُسدلاً؟! أم لربّما صلّى على كلا الوجهين؟!»

(١) سورة الحشر : ٧.

--- ... الصفحة ٥٦ ... ---

وقد يكون حكام الجور غيروا وبدّلوا حتى في الصلاة (١)؟!

هل قصر رسول الله في التبليغ؟! أليس الله يقول : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) (٢). لماذا يقول مالك بالسدل والشافعي بالتكثف؟! هل كان دين الله ناقصاً فيكملوه أم أن أحكام الله كانت غامضة فيعملوا آراءهم بالإجتهد والاستحسان والقياس؟! أفتونا بعلم أيها الناس فلقد بلغ السيل الزبي.

هل كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي كان يصلّى مذ كان في مكة إلى آخر حياته الشريفة متناقضاً حتى يصلّى على وجوه عدّة؟! وإذا صلّى كذلك فكيف علمه الله هذه الصلاة؟! وإن لم يصح ذلك فكيف كانت صلاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟!

وأذكر أنني كنت أتحدّث مع أحد الإخوان فسألته عن رأيه في الموضوع فلربّما قال شيئاً يرفع به حيرتي حول أمر الصلاة.

- «يا أخي إن المسألة أبسط ممّا تتصوّر - قال لي هذا الأخ - : إن رسول الله صلّى على الوجهين فمرة بالسدل وأخرى بالتكثف».

- «ألا ترى في هذا تناقضاً؟ - علقت قائلاً - : ثم أي صلاة صلّاها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مسدلاً وأي صلاة صلّاها متكثفاً

؟! ولو صح ما تقول لماذا لا نصلى كل يوم على الوجهين إصابه للسنة واقتفاء به (صلى الله عليه وآله وسلم)؟!»

- (١) هذا ما فعله مروان بن الحكم فعلا فى صلاة العيد : أنظر سنن ابن ماجه ١/٤٠٦ باب ما جاء فى صلاة العيدين .  
(٢) سورة المائدة : ٣ .

--- ... الصفحة ٥٧ ... ---

نعم هكذا تصوير أحكام الدين الخاتم الشامل لعبه تحت غطاء اليسر فى الدين . صلى كما تحب ، وتوضأ كما تشتهى ، وطلق كما تستحسن ، المهم هو اليسر . عجيب ! هل يريدنا الله أن نعبده كما يحب هو أم كما نحب ونستحسن نحن !؟  
وذات مره سألت أحدهم عن تكثفه فى الصلاة رغم كونه مالكيًا فتعلل بأن تكثفه فى الصلاة يزيد من خشوعه مع الله تعالى .  
اجتهاد واجتهاد واستحسان ولا- شىء غير ذلك ، خشوع أكثر وخشوع أقل ، إن الخشوع مسأله قلبية وليس مما يحصل بالحركات والسكنات . لم إذن لا نقلد خشوع المسيحيين أو البوذيين فى صلاتهم...  
والعجب أنهم إذا رأوا شيعيًا يصلى ، يطير حلمهم ويعسر يسرهم ويهاجمونه تحمسا للسنة وحفاظا عليها ، ولا ندرى أيه سنة يحفظون ولا إلى أى صلاة يدعون !؟ هل هى صلاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أم صلاة مروان بن الحكم (١) وغيره من الجبابرة الأمويين والعباسيين .

«مادام رسول الله يهجر (٢) ويذكر آلهة قريش (٣) ويلعن من لا يستحق اللعن (٤) ويصبح ولا يصلى (٥) فلا عجب أن يصلى بطريقتين

- (١) سنن ابن ماجه ١/٤٠٦ ، باب ما جاء فى صلاة العيدين .

(٢) إشارة إلى رزية الخميس : صحيح البخارى ٦/١١ .

(٣) إشارة إلى حديث الغرائيق : الدر المنثور ٦/٦٤ - ٦٩ تفسير سورة الحج آية ٥٢ وتفسير الطبرى ١٧/١٣١ .

(٤) أنظر صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ٤/٢٠٧ ومسند أحمد ٥/٢٩٤ و ٢/٢٤٣ .

(٥) سنن ابن ماجه ١/٢٢٧ ، باب من نام عن الصلاة أو نسيها ومسند أحمد ٢/٢٤٨ .

--- ... الصفحة ٥٨ ... ---

مختلفتين .» أجبني صديقى الشيعى عندما طرحت عليه الموضوع من جديد .

وأردف : «لكن الحمد لله الذى حفظ كتابه الكريم من تحريف المحرفين ودس الداسين وإلا لصار أغرب من التوراة والأنجيل ، مليئا بالخرافات ، محشوا بالتناقضات لكن القوم إذ فاتهم تحريفه عمدوا إلى سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فبدلوا وغيروها وقطعوا أوصالها وحذفوا منها وزادوا حتى اختلط الحابل بالنابل وحتى صار المسلم يعجب ويسأل ويتساءل ويتحير ولا تزول حيرته ، بل إن القوم تمادوا فى غيرهم فحرفوا كلام الله عن مواضعه ، لكنهم لم يغيروا حروفه بل أقاموها وبدلوا معانيها حتى صار يوسف (عليه السلام) غراميا يهيم بالفحشاء ، وموسى قاتلا جبارا فى الأرض وذاللون كان كافرا بقدره الله وآدم عاصيا وداود متهتكا ، لاهتا وراء الشهوات ، وسليمان غير متوكل على الله تعالى (١) .

نعم لقد أقاموا حروف القرآن لكن غيروا معانيها وشأن نزولها فإننا لله وإنا إليه راجعون .»

قلت لصديقى : «فما تقول أنت !؟»

«إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذى علم أمته كيف ينالم الشخص فى فراشه وكيف يقول إذا خرج من بيته ، بل كيف نفعل إذا دخل أحدنا بيت الخلاء (٢) ، هل تصور أنه يصلى على طريقتين ويترك أمته فى حيرة من

(١) أنظر صحيح البخارى ٩/١٦٠ - ١٦١ وبعدها. ومستدرک الحاكم ص ٣٤٦، ٥٨٢ من كتاب التفسير، صحيح مسلم ٣/١٢٧٥، كتاب الإيمان.

(٢) سنن ابن ماجه ١/١٠٨، باب ما يقول الرجل إذا دخل الخلاء.

--- ... الصفحة ٥٩ ... ---

أمرهم فى الصلاة؟!؟

ثم لو صلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على وجهين لماذا لم يتوضأ ولم يتيمم ولم يغتسل على وجهين مختلفين؟!؟  
لما أنهى صديقى كلامه شعرت بميل جيد تجاه هذا المنطق الواضح الذى أزال عنى تلك الغيرة التى كانت تحجب عن عيني الرؤية، وأقنعت نفسى بأنه لو لم يكن تعليل صديقى صحيحا وفى محله، فلا ريب عندى أنه كان الأفضل من بقية التفسيرات والتعليقات التى طالما سمعتها حتى مجتهدا أذناى ولم تقنعنى قليلا ولا كثيرا.

\*\*\*

--- ... الصفحة ٦٠ ... ---

--- ... الصفحة ٦١ ... ---

## الماكيافيلية

الماكيافيلية أو الوصولية أو النفعية... أسماء متعددة لمعنى واحد والماكيافيلية تُنسب إلى مؤسسها الإيطالى الشهير "Machiavelli" الذى كتب كتابه المعروف «الأمير» "il principe" وهو مفكر عاش فى القرون الوسطى فى عصر النهضة الإيطالية فى إمارة خفلورانس قلب إيطاليا الثقافى والحضارى والفكرى.

وللماكيافيلية مقولة شهيرة كانت الأساس الذى ضرب بالمثل العليا عرض الحائط وجعلت لكل مغامر الفرصة فى إمكانية الوصول إلى ما يطمح ويريد، هذه المقولة هى: «الغاية تُبرر الوسيلة».

ولا أدري هل يصح أن نسب هذه النظرية أو الفلسفة - التى استشرت فى أوروبا ونالنا منها نحن المسلمون المآسى والويلات - إلى ماكيافيللى أم إلى معاوية بن أبى سفيان؟!؟

إن معاوية بن أبى سفيان من دهاة العرب الأربعة (١) كما يوصف، وهو مثال حى وقوى على الرجل النفعى الماكيافيللى، فهو كالحرباء المتغيرة اللون حسب الظروف، فمعاوية حسب نشأته ومكانة أبيه فى قريش لا يمكن أن يكون مسلما لأن قبوله بالدين الجديد معناه أن يفقد

(١) هم: معاوية، عمرو بن العاص، المغيرة بن شعبة وزيد بن أبيه. أنظر كتاب أسد الغابة، ترجمة المغيرة بن شعبة.

--- ... الصفحة ٦٢ ... ---

جميع الإمتيازات التى كان يتمتع بها وهو فتى من فتیان قريش المترفين. إنه مثال للرجعية الإجتماعية التى ترى فى كل دعوة إصلاحية - وضعية كانت أو سماوية - ضربة قاصمة للإمتيازات الطبقية التى كان يرفل فيها (١) وهكذا شب معاوية ونشأ. زيادة على ذلك (الخوف من فقدان الإمتيازات) فما لاقاه المسلمون الأوائل من شدة وتعذيب ما كان ليشجع معاوية (اللامبدئى) بأن يدخل هذا الدين الجديد.

لكن لما اشتدت شوكة المسلمين وعظمت قدرة المسلمين يسرع أبو سفيان إلى خارج مكة ليبيع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لكنه ما زال يرى أن محمدا ملكا لولا - نهى العباس (رضى الله عنه) إياه. وما كان أيسرها من كلمة - الشهادتين - فيكفى أن يلفظها أبو سفيان وهند ومعاوية بالنتيجة، حتى يعصموا دماءهم وأموالهم وكذلك مراكزهم المادية. وهكذا يطلع علينا معاوية مسلما،

له ما للمسلمين وعليه ما عليهم ، لكن الفارق بينه وبينهم أنه لا سابقه له ولا جهاد ولا حتى رميه سهم أو رمح في سبيل هذه الدعوة الجديدة.

كذلك هناك مفارقة كبيرة جعلته يشعر بالخزي والمذلة أينما اتجه ألا وهي كونه من الطلقاء.

لا يبرز أي ذكر لمعاوية إلى وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وحتى إلى شوط كبير من حياة الخلفاء إلى أن يُعَيَّنَ والياً على الشام (جزء منها) خلفاً لأخيه يزيد بن أبي سفيان ولا عجب إلا من عمر بن الخطاب الذي ترك أجلاء

(١) ( وإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا ) [سورة الإسراء : ١٦].

--- ... الصفحة ٦٣ ... ---

الصحابة جليسي بيوتهم ويولّي هذا الشخص المغمور وهو القائل إن ولاية الأمر لا تكون لطريق ولا لمسلمة الفتح (١) ، فما عدا ممّا بدا ؟!

لكن ولاية الشام تفتح لمعاوية المغامر آفاقاً وآفاقاً ، وهي التي مهّدت له خلافة المسلمين فيما بعد.

وجاءت الفتنة الكبرى ، حيث أحاطت جموع الثائرين والجائعين الذين رأوا بنى أمية يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع (٢) ورأوا الوليد بن عقبة (٣) يصلّي بهم في الكوفة صلاة الصبح أربعاً وهو سكران ، ورأوا ما كان عليه معاوية وبقية عمّال عثمان من بطر وجاهلية جديدة وطبقية بغضة لكن مغلفة بغلاف الإسلام. حُوصِر عثمان في بيته أربعين يوماً فهل أثارت حالة الخليفة هذه بن عمّه معاوية بن أبي سفيان؟! الجواب لا- هل كان معاوية عاجزاً أن يرسل جيشاً أو حتى كتيبة تفكّ حالة الحصار عن ابن عمّه عثمان الأموي؟! والجواب لا. إذن لماذا تقاعس معاوية عن نصره عثمان؟! والجواب هو شخصيته معاوية

(١) مسلمة الفتح : هم الذين أسلموا يوم فتح مكة وربّما يقصدهم ومن أسلم بعد ذلك = راجع طبقات ابن سعد ٣/٣٤٢ ، حيث قال : «هذا الأمر في أهل بدر ما بقي منهم أحد ، ثم في أهل أحد ما بقي منهم أحد ، وفي كذا وكذا وليس فيها لطريق ولا لمسلمة الفتح شيء».

هذا مع أن عمر عندما كان يرى معاوية كان يقول عنه : هذا كسرى العرب [تاريخ الإسلام للذهبي سنة ٤١ - ٦١ هـ ص ٣١١].

(٢) أنظر كلام الإمام على (عليه السلام) في نهج البلاغة الخطبة ٣ المعروفة بالشقشقية.

(٣) هو الذي سمّاه القرآن فاسقا : سورة الحجرات : ٦. أنظر تفسير الدر المنثور ٧/٥٥٥ وتفسير الطبري ٢٦/٧٨ وتفسير القرطبي ١٦/٣١١ وتفسير ابن كثير ٤/٢٢٣.

--- ... الصفحة ٦٤ ... ---

الماكيايلية التي لا يمكن أن ترتكب هذه المجازفة الخطيرة فتوقد هكذا خطوة نعمة المسلمين عليه كما أوقدت على عثمان وزيادة على ذلك وهذا هو الأهم ، كان معاوية يرى أن هذه الفتنة قد ترفّعه وتدفعه إلى مقام ما كان ليحلم به حتى في المنام. هذا المقام هو مقام الخلافة وقيادة الأمة !!

وهل كان لمعاوية مطعم فيها وكبار الصحابة كعلي وعمّار والزبير وسعد على قيد الحياة؟! نقول : إن السرّ موجود في ماكيايلية معاوية الذي لولا بعد نظره وكثرة أحلامه لما استمرّ على ولاية الشام سنة واحدة وهو الذي كان يعيش فيها عيش الأكارسة والأباطرة.

لقد أراد معاوية كبش فداء لطموحه الكبير فكان عثمان أو قميص عثمان. فما إن قُتل الخليفة حتى أقام عليه معاوية المناحات وعلّق قميصه على منبر مسجد الشام واستغلّ هذا القميص أحسن استغلال حتى يبدو وكأنه المدافع عن حرمة الخلافة ويكسب بذلك القلوب.

يُقتل الخليفة ولا ينصره بشيء ويأخذ قميصه ويجعل منه قضية الساعة (١)!!!  
ليس المهم عند معاوية أن يُقتل عثمان ولا تهمة كذلك الأسماء ، المهم لديه هو ماذا ستُضيف إليه هكذا أحداث وأية موجه يركب حتى تدفعه خطوة إلى الأمام.  
وتبدأ فصول المسرحية ، فعندما يبايع المهاجرون والأنصار أمير المؤمنين على بن أبى طالب ويقوم (عليه السلام) بعزل جميع ولاة عثمان لما

(١) حتى ضرب بذلك المثل فيقال لمن يستغل شيئاً بسيطاً ويكثر من استغلاله : قميص عثمان.

--- ... الصفحة ٦٥ ... ---

أحدثوا من عظام الأمور ، يرى معاوية أنه وصل إلى نقطة الصفر حيث سيعود كما بدأ بل أرذل ، لكن هل يخضع معاوية وأمثاله فى كل عصر ومصر إلى هكذا نهاية بعد كل ذلك العناء؟! الجواب قطعاً لا. وهنا تبدأ الذهنية الشريرة التى تُحوّل المواقف الحرجة إلى مكاسب. جعل معاوية ينادى بالقصاص من قتلة عثمان شرطاً لى ينزل ويتنحى وما أذكاه من شرط حتى يكسب شيئين : عدم التنحى وإظهار نفسه بمظهر الشرعية لاستمالة قلوب الناس.

وما أشبه اليوم بالبارحة فما أكثر الحكام اليوم الذين رفعوا قميص فلسطين لكنهم لم يرموا إسرائيل بأى رصاصة ، ثم قس على ذلك بقية القمصان وما أكثرها فى كل عصر وزمان وإن تغير المصداق.

ما أذكاه من شرط وهل هناك قتلة معينون قتلوا عثمان؟! إن كل الأمة قتلت عثمان وكان فى مقدمتهم عائشة وطلحة والزبير وحتى... عمرو بن العاص الذى عزله عن مصر فكان يقول : «كنت ألقى الراعى فأحرضه على عثمان (١)».

فهل اقتص معاوية منهم بعد ذلك حين صار خليفة المسلمين!؟

... يا له من موقف حرج آخر أشد من الأول. إن جنود الإمام على يقتربون من خيمة معاوية وسيف مالك الأشتر رئيس أركان جيش أمير المؤمنين يلوح أحمر تحت لهيب الشمس فى ذلك اليوم من أيام حرب صفين. هل ستكون الضربة القاضية التى تأخرت عن معاوية كثيراً؟! هكذا

(١) الكامل فى التاريخ لابن الأثير : ٣/١٦٣.

--- ... الصفحة ٦٦ ... ---

كان معاوية يفكر وهو يستعد ليحزم أمتعته ويفرّ من الميدان إلى... امبراطور بيزنطة ربّما.

لكن ما أحلى ذلك السلاح الذى طالما جرّبه معاوية ولم يخب : الغاية تبرّر الوسيلة. وجاءت فكرة عمرو بن العاص برفع المصاحف.

الآن ، الآن تقيم للمصحف وزناً يا معاوية وقد خالفت كل أحكامه (١)!

ورحم الله أحمد شوقى بقوله :

خرج الثعلب يوماً فى ثياب الناسكينا.

وما أكثر اليوم من يرفعون المصاحف لغاياتهم الخبيثة.

لكنّ الحيلة آتت أكلها حيث دبّ الخلاف وطلعت الفتنة بعد رفع معاوية للمصاحف وانشقت الأمة إلى فرق وأحزاب وما زالت إلى يومنا هذا.

ويظهر معاوية بن أبى سفيان «كرجل سلام» من الدرجة الأولى حيث يعقد بعد استشهاد على صلحا مع الحسن بن على ، فيبدو فى عيون المسلمين المُستغفلين حريصاً على الدماء وصائناً لها ، لكنّه سرعان ما يغدر بالإمام الحسن ويفتكك به عن طريق إرسال السم إليه

بواسطه واليه على المدينة والذى بدوره يعطيه لزوجته الحسن حتى لا- يبقى فى الأمة معارض له ويتوج جهوده الإعلامية والرشوية فيصبح أميراً للمؤمنين وخليفة للمسلمين فياله من خليفة ويا لهم من مسلمين!؟

(١) مثل أنه صلى صلاة الجمعة يوم الأربعاء عند مسيره لحرب صفين ومنها الخروج على الحاكم الشرعى ومنها قتاله بغيا لبقية المسلمين أنظر مروج الذهب للمسعودى ٣/٣٢.

--- ... الصفحة ٦٧ ... ---

هنا يظهر معاوية حقيقة التى طالما سعى لإخفاءها خوفا من شوكة الصحابة الأجلء وخوفا من السقوط. أما وقد فتك بالصالحين منهم واشترى ذمم الباقين (١)، فلا بأس بالتعزى وكشف السوء فيقول مجاهرا غير مستح قوله الشهيرة «إنى ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتحجوا ولا لتصوموا، لكننى قاتلتكم حتى أتأمر عليكم!!» (٢).

وما الصلاة وما الحج وما الإسلام أصلاً أمام الملك الذى لبسه غصبا وأورثه ملكا عضوا إلى بنى أمية من بعده حتى كاد الإسلام يعود أثرا بعد عين، وحتى وصل الأمر بأمرأ بنى أمية أن يضربوا الكعبة بالمنجنيق ويستبيحوا المدينة المنورة ويسخر الحجاج بن يوسف من طواف المسلمين بقبر رسول الله ومنبره ويقول: إنما يطوفون بأعواد ورمية، وينصحهم بأن يطوفوا بقصر «أمير المؤمنين» عبدالملك بن مروان بالشام.

نعم ما كان أظلمها من صفحات فى تاريخنا الإسلامى فأبوذر صاحب السابقة يموت وحيدا شريدا فى صحراء الزبذة ومعاوية لا يموت إلا وهو يلعب مع جواريه وخصيانه بالدولة الإسلامية العريضة من المشرق إلى المغرب. وليس عسيرا بعد ذلك على معاوية بما يملك من مال وبطش أن

)

(١) كقتله للصحابى الجليل حجر بن عدى باعتراف أم المؤمنين عائشة وباعترافه هو نفسه حيث كان يقول: الويل لى من حجر يكرز ذلك ثلاثاً، أنظر البداية والنهاية لابن كثير ٨/٤٩. أما أكبر ذمة لصحابى اشتراها معاوية فهى ذمة أبى هريرة.

(٢) أنظر البداية والنهاية لابن كثير ٨/١٣١.

--- ... الصفحة ٦٨ ... ---

يجعل من نفسه كاتب الوحي (١)، وخال المؤمنين (٢)، بل حتى هادياً مهدياً (٣) وأن يضع الفضائل الزائفة فيمن أحبه وأن يلعن (٤) وينتقص من أبغضه وليس عجيبا بعد، أن ترى فى الحكام اليوم الذين يحكمون بلدانهم لفترات محدودة أن يحرفوا التاريخ ويقربوا من شأؤوا ويبعدوا من شأؤوا حتى يصبح أحدهم الرب الأعلى على سيرة فرعون، وكلهم كمعاوية مجتهدون مخطئون لهم أجر واحد والبركة فى المضيرة لمن يشتهيها والسيف لمن يخافه!

ومن يدري فلعل ما كافيلى اطلع على تاريخنا وبنى على سيرة معاوية مدرسته الفكرية. من يدري!؟

\*\*\*

(١) ولا ندري متى كتب الوحي وقد أسلم يوم الفتح فى أواخر حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). أنظر صحيح مسلم، فضائل الصحابة، فضائل أبى سفيان: ٤/١٩٤٥. ومسند أحمد ٤/٢٢٦ حديث رقم ٢٦٥١.

(٢) لأنه أخو أم حبيبة زوجة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والتى أبغضت أباهما كما أبغضت أخاه.

(٣) فى حديث مزعوم عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «اللهم اجعله هادياً مهدياً وأهد به!» أنظر صحيح الترمذى ٦/١٥٧،

حديث ٣٨٤٢.

(٤) كأمره لو غيَّاه في طول البلاد وعرضها بلعن على بن أبى طالب على المنابر واستمر ذلك إلى ٧٠ سنة. أنظر تاريخ الطبرى ،

حوادث سنة ٥١.

--- ... الصفحة ٦٩ ... ---

### شريعة الحكم فى الإسلام... لمن؟!

كان الفصل شتاءً ، وكنت أستغل فترة ما بعد الغروب لأقوم بجولة فى أطراف المدينة ، حيث أشعر بالأنس فى تلك الأوقات حيث تأخذنى قدماى فى جولة هادئة ، وتأخذنى مخيلتى بعيدا محلقة نحو أفق سحرى فأطير بعيدا عن رتابته الواقع وأمشى وأمشى حتى أشعر أننى قطعت شوطا بعيدا فى جولتى وأشعر بلفح نسيمات باردة فأميل إلى إحدى المقاهى حيث غالباً ما ألتقى بأحد شباب حيننا فنخوض فى موضوع ما وكثيرا ما ينضم إلينا بعض الأصدقاء ليشاركونا الجلسة ، وكانت هكذا جلسات فرصة لى للخروج من رتابته الدروس ولإعادة البعض من الحيوية الضرورية لمواجهة التحضير لامتحان آخر السنة الذى كان آخر عقبه للمرور إلى الجامعة.

وكنت كثيرا من الأحيان ألتقى بصديق الدراسة القديم - المتشيع - حيث كنت أشتاق إلى مجالسته لخفة ظله والروح الساخرة التى كان يتميز بها ، فضلا عن أنه شدى إليه لما يحمله من أفكار جديدة على لم أعود على سماعها من قبل ولكل جديد لده كما يقولون.

فى إحدى جلساتى معه وجدته أحضر كتابا كبيرا ذو غلاف أحمر قانى وكان قد وضعه أمامه على الطاولة. نظرت إلى العنوان فإذا به «صحيح مسلم» وقد كتب بحروف مذهبه وكتبت عبارة «أصح الكتب بعد كتاب الله»

--- ... الصفحة ٧٠ ... ---

تحت العنوان.

مسكت هذا الكتاب - وكان مجلدا واحدا لجزئين فقط - لأول مرة فى حياتى ، إذ نحن مع الأسف لا نقرأ ؟ كتبنا ولماذا نقرأ ، ألسنا على المحجزة البيضاء؟! يا له من غرور مغلف بجهل مركب ! إن المستشرقين صاروا يعرفون عنا أكثر ممّا نعرف عن أنفسنا نحن وقد يأتى يوم - لا سمح الله - يطبخون لنا فيه تاريخا حسب ذوقهم وأهدافهم ويقدمونه لنا بديلا عن تاريخنا (١).

عندما نظرت إلى العبارة كان فى نفسى منها شىء. ما معنى أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى؟! يعنى أنه فى المرتبة الثانية. يا له من قياس عجيب. ما أسهل أن تصدر أحكاما جزافا لتمرير كثير من الأشياء. دائما نذهب ونقيس أنفسنا بالله وكتبنا بكتابه العزيز.

كان صديقى قد وعدنى مرة بأن يحضر لى صحيح مسلم لأنه أكد لى أن حديث «تركت فيكم الثقلين ، ما إن تمسيكتم بهما ، لن تضلوا بعدى أبدا ، كتاب الله وعترتى أهل بيتى ، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض ، فانظروا كيف تخلفونى فيهما» (٢) هو الحديث المتواتر عند المسلمين.

لكنى أصريت عليه أن المشهور هو حديث «كتاب الله وسنتى» (٣).

فتحت الكتاب حيث المكان الذى عينه لى صديقى بورقة صغيرة.

(١) وقد بدأ فعلا وما فعله جرجى زيدان فى قصصه وتأليفاته كان ضربة البداية.

(٢) مستدرک الحاكم ج ٣ ص ١٤٨. ومسند أحمد ٣/١٧. وقد ورد فى مسلم شبيها وقريباً فى ألفاظه من هذا ، أنظر مسلم ، كتاب الفضائل: باب من فضائل على بن أبى طالب.

(٣) موطأ مالك ص ٦٠٢ حديث رقم ١٦٦٢.

--- ... الصفحة ٧١ ... ---

قرأت الحديث كما أخبرني صديقي. تعجبت: اللهم زدنا علماً، وقفزت في ذهني أفكار وأفكار كمن كان يريد مخرجا سريعا لما هو فيه، لكنني عجزت فاشتعل قلبي غيضا على هؤلاء الذين أوقعونا في ورطة لا مخرج منها، ويا ليتها كانت الورطة الوحيدة فما أكثر ما تورطوا فيه وورطونا فيه معهم.

قال صديقي: «وليس فقط مسلم هو الذي أورد هذا الحديث بل أورده كثير من المفسرين والمحدثين من أمثال أحمد بن حنبل في مسنده والترمذي والحاكم والطبري وابن حجر في صواعقه والسيوطي الشافعي في الدر المنثور وابن الأثير في النهاية وغيرهم مما لا يحصيه عاد».

قلت: «لكن المشهور عندنا هو حديث «كتاب الله وسنتي» حتى حفظناه عن ظهر قلب ورددناه في كل مجمع وعلى كل منبر حتى سارت به الركبان».

قال: «رب مشهور لا أصل له، وعلى افتراض وجود وصحة الحديث فهو يفسر الحديث الصحيح الأول حيث إن سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هي سنة أهل البيت والعكس صحيح. وإذا لم يكن الأمر كذلك لصار رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) متناقضا في قوله وأحاديثه».

ثم أدار صديقي صفحات أخرى من صحيح مسلم وقال اقرأ.

قرأت عن أبي هريرة قال: «لا تمتلىء (النار) حتى يضع الربّ رجله فتقول: «قط قط ويزوي بعضها إلى بعض» (١).

(١) صحيح مسلم ٢/٤٨٢. ومسنده أحمد ٣/١٣٤. العقيدة الواسطية لابن تيمية ص ٧٦.

--- ... الصفحة ٧٢ ... ---

تملكني العجب من هذا الحديث وتذكرت حديث صديقي عن أبي هريرة وقيمة أحاديثه، لكنني أسررتها في نفسي ولم أبدأ ذلك له وتركت صديقي يعلّق بنفسه على الحديث حتى أرى ما يقول فيه، وبالتالي ما يقول الشيعة حوله.

قال صديقي: «لو أعملت عقلك وفكرك لعلمت تهاوى هذا الحديث الذي يرويه أبو هريرة الدّوسي:

فأولاً هذا القول يعني أنّ الله أخطأ في تقديره لعرض وسعة جهنّم فيضطرّ لأن يضع فيها رجله حتى تمتلأ.

ثانياً الله يضرب بقوله في القرآن عرض الحائط. أليس هو القائل: (فالحقّ والحقّ أقول لأملأنّ جهنّم منك وممن تبعك منهم أجمعين) (١) الآية. فكيف يقول الله لأملأنّ جهنّم ثم يضطر بعد ذلك لوضع رجله فيها حتى يمتلأ فراغاتها!؟

ثم لا نتحدث بعد عن رجل الله التي يريدنا أبو هريرة أن نتصوّرها كرجله المتشققة الحافية التي لم تحضن نعلًا إلا في أخريات عمره. ولعلّ أبا هريرة نسي أن يحدثنا عن رجل الله الأخرى، هل تبقى معلّقة في الهواء أم يضعها الله تعالى في الجنة لأنها كذلك عريضة واسعة رحبة».

قاطعت صديقي قائلاً: «لكن قد يكون القصد من رجل الله شيء مجازي كما ورد في القرآن عن يد الله وأعينه وغيرها!؟ وقد تكون الرجل هنا هو غضب الله حيث يرفس أهل النار فيها رؤسًا».

(١) سورة ص: ٨٤ - ٨٥.

--- ... الصفحة ٧٣ ... ---

ضحك صديقي ضحكة عريضة وقال: «إنّ الحديث من أساسه باطل لأنّه لا يسنده شيء من العقل ولا من القرآن الكريم فكيف نلجأ إلى التأويل!؟ وعلى ذكر التأويل إنّ المجسّمة والمشبهة وأبرزهم في وقتنا الحاضر الوهابية لا يجوزون التأويل لأنّه عندهم تعطيل ولذا يسمّوننا معطلّة بزعمهم، وقد أحسنّت إذ ذكّرتني بهذا الموضوع المهمّ فإنّه أساس لفهم القرآن ولفهم أصل التوحيد الذي يدعى



حمل لواءه كثير من الأعراب البوالين على أعقابهم.

ولهذا كان مرجعنا فى فهم القرآن هو خلفاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من الأئمة المعصومين الذين قرنهم (صلى الله عليه وآله وسلم) بالقرآن فى قوله «ترك فىكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى» (١).

وليس لنا الأخذ بالظاهر فى كثير من الآيات لأن ذلك يؤدى بالباحت إلى القول بتناقض كتاب الله المجيد.

فمرة يقول الله (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) (٢) وأخرى يقول (وَالسَّمَاءَ بَيْنَاهَا بِأَيْدٍ) (٣) ومرة يقول لموسى (لَتُصَنَعَ عَلَى عَيْنِي) (٤) وأخرى يقول (وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ

(١) المستدرک للحاكم ٣/١٤٨ ، كتاب معرفة الصحابة.

(٢) سورة الفتح : ١٠.

(٣) سورة الذاريات : ٤٧. ويقول ابن تيمية فى العقيدة الواسطية : إثبات اليدىن لله تعالى !؟ ص ٦٦.

(٤) سورة طه : ٣٩.

--- ... الصفحة ٧٤ ... ---

بأَعْيُنِنَا) (١) فمرة تُذكر اليد بلفظ المفرد وأخرى بلفظ الجمع وكذلك العين. ومرة أخرى نقف على آية أخرى أعجب وهى (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) أو قوله (وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) (٢) فإذا سلّمنا بأنّ الله يدا أو عيناً أو جارحاً (كما يليق بجلاله تعالى) - على رأى الوهابيين - لكانت كلّها فانية ، زائلة حسب الآية التى تذكر هلاك كل ذلك ما عدى الوجه».

قلت متعجبا : «وهل هناك من المسلمين من يعتقد بأنّ الهلاك يوم القيامة يطال حتى الله تعالى !؟»

قال صديقى : «على افتراض أننا سلّمنا بأنّ الله تعالى مرّكب من أجزاء - سبحانه وتعالى - فلماذا يطال هلاك وصاعقة القيامة بعضا من الله !؟ معنى هذا إنّ الله إنّما أنّه يفجر صاعقة لا يستطيع السيطرة عليها حتى تطاله كما طالت مخلوقاته أو أنّ القيامة حدث خارج عن قدرة الله بحيث تأتى على «الرّبّ والمربوب» !؟»

قلت مغضبا : «والله لا أعتقد أنّ جدتى رحمها الله على بساطة فكرها تؤمن بهكذا عقيدة فيمن خضع له كلُّ شىء ، سبحانه وتعالى عمّا يقول السفهاء».

عقب صديقى وقد علت نبرة صوته وظهرت علامات الحزم على جبينه قائلا : «يا ليت ثمّ يا ليت وقف الأمر عند هذا الحدّ لقلنا اشتبه على إخواننا الأمر والتزموا بظاهر الكتاب لكنهم فى كثير من الأمور ضربوا

(١) سورة الطور : ٤٨.

(٢) سورة الرحمان : ٢٧.

--- ... الصفحة ٧٥ ... ---

بصريح الآيات عرض الجدار».

قلت له : «هات لى مثلا على ما قالوا».

قال : «إنهم يزعمون أنّ الله فوق سماواته على عرشه ، علىّ على خلقه» (١). بل وزادوا على ذلك وقالوا إذا جلس سبحانه على كرسيه سُمع له (أى الكرسي) أطيح (صوت) كأطيح الرحل الجديد - من ثقل الله تعالى (٢)».

قلت : «أليس الله على العرش !؟»

قال : «يظهر من رواة الحديث أنّهم رأوا معاوية بن أبى سفيان أو ملوك بنى أمية وملوك بنى العباس وما كانوا فيه من جبروت وما

كان لديهم من عروش مذهبة وغيرها حتى نسبوا ذلك إلى الله تعالى».

صحيح إننا نجد فى القرآن كلمة العرش والكرسى لكن لا يعنى أنها تشبه عروش الجابرة والطواغيت. أليس الله تعالى يقول فى أشهر آية نقرأها ليلا ونهارا وهى آية الكرسي حيث يقول (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ) فهل يعنى هذا أننا جالسون فى العرش مع الله إذ وسع العرش حتى الأرض ، فهل العرش داخل فيها أم أنها هى فى العرش؟! «

قلت : «عفوا - قليلا قليلا حتى أفهم جيدا ما تقول ، فهل تقصد أن عرش الله ليس فى السماء دون الأرض وليس فى مكان دون آخر؟! «

(١) أنظر سنن ابن ماجه ١/٦٩ ، باب فيما أنكرت الجهمية ، و ١/٢٩ ، نفس الباب. وكذلك العقيدة الواسطية لابن تيمية.

(٢) انظر سنن أبى داود ٤/٢٤٣.

--- ... الصفحة ٧٦ ... ---

- «المسألة مجازية وكناية»: ردّ صديقى ثم استرسل قائلاً: «مشكلة البعض هو أنهم كالحمار يحمل أسفارا ، نعم هم يعرفون العربية لكن لا يفقهون من فنها وبديعها قليلا ولا كثيرا.

ولو تنظر فى تاريخ العرب والألفاظ العربية لوجدت أنها تستعمل المجاز والكناية دائما أبدا. أليس يقال مثلا : إن فلانا ، الملك أو الأمير أو الخليفة بسط يده على البلاد؟! فهل كانت يده طويلة جدا حتى بسطها فى طول البلاد وعرضها؟! أو قد يقال فى بعض البلاد : جلس الأمير أو الملك على العرش يوم كذا أو سنة كذا ، لكن لا يقصد بذلك أنه جلس على كرسيه الخشبي فقد يكون فى ذلك اليوم الذى تولى فيه الحكم واقفا طول اليوم يتقبل التهاني والتبريكات أو قد يكون راكبا متوجها لتسلم مقاليد الأمور ، القصد طبعاً هو أن فلانا الحاكم تسلط على مقاليد يوم كذا من سنة كذا وليس هو الجلوس البسيط الساذج ، إذا فهمت هذه الأمور فارجع إلى قوله تعالى : (الرَّحْمَانُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) (١) فالاستواء يعنى قدرته تعالى ، أى أنه ممسك بزمام السماوات والأرض يقهرها بقدرته ويصرفها بحكمته ولهذا قال مالك بن أنس لما سئل عن هذه الآية «الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال بدعة» ثم لا تنظر بعد فى زعمهم أن الله فى السماء بمعنى الفوقية والعلو المادى لأنه مردود بصريح القرآن ، حيث يقول تعالى (وَهُوَ الَّذِى فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِى الْأَرْضِ

(١) فى الحديث «الكرسى موضع قدمى الله والعرش لا يقدر قدره؟!». أنظر مستدرک الحاكم ، ج ٢ ، كتاب التفسير ، تفسير آية الكرسي ص ٢٨٢.

--- ... الصفحة ٧٧ ... ---

إله) (١) ويقول (فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ) (٢) أو قوله تعالى (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ) (٣) أما بقية الآيات فتؤول إلى معان أخرى وإلا صار القرآن متناقضا.

وختام القول هو قوله تعالى عن نفسه (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (٤) و(لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) (٥) نعم إذا كان الجماعة قد أخذوا دينهم عن اليهود والنصارى ، فحق لهم القول إن الله تعالى فى السماء وأنه يشبه مخلوقاته وغيرها فهذا فى التوراة والإنجيل كثير.

نظرت إلى ساعتى فوجدت أن الوقت قد أخذنا أكثر من اللازم ، فقامت بعد أن تواعدت مع صديقى على لقاء آخر.

كانت خطواتى تتجه إلى البيت متسارعة وشعرت بأن ذهنى أصبح فسيحا جدا عما كان عليه من قبل. فسيح بالدرجة التى شعرت معها وأنا أتطلع فى صفو السماء وزينتها أن هذا الكون على رحابته وسعته لا يعدو أن يكون جوزة فى كفى أو خاتما فى خنصرى ، شعرت للمرة الأولى بمعنى أن يكون الإنسان مكرما على جميع ما خلق الله تعالى ، والسر هو فى ما وهب الله تعالى لنا من عقول قد تتسع لتبتلع السماوات والأرض

- (١) سورة الزخرف : ٨٤. لكن ابن تيمية ومن والاه يصرون أن الله فى السماء : أنظر العقيدة الواسطية ص ٧٧.
- (٢) سورة البقرة : ١١٥.
- (٣) سورة الحديد : ٤.
- (٤) سورة الشورى : ١١.
- (٥) سورة الإخلاص : ٤.
- ... الصفحة ٧٨ ... ---

وتقول هل من مزيد. كانت فرحتى عظيمة وكأن كل الأشياء التى كانت تتراءى أمامى من شجر وتراب ونجوم ، استحالت جديدة وكأنها خلقت ليتها وحمدت الله تعالى على أن دين الإسلام لا يعارض العقل والفضرة السليمة ، فكم تجرنا من العصب ونحن نواجه فى نقاشاتنا إشكالات الملاحدة والعلمائين وما كان لنا من جواب لهم إلا صفرة الوجه وقولنا الذى نُقنع به أنفسنا بأنهم أصحاب النار ولا فائدة من النقاش معهم ، وإنما سنضحك منهم غدا كما يضحكون هم منا اليوم. فى تلك الليلة نمت ملء جفونى وكان الله ألسنى جسدا لطيفا مثاليا وبالكد كنت أحس بوجوده معى...

\*\*\*

--- ... الصفحة ٧٩ ... ---

### التشكيك «أو» الفتنه»

كنت واقفا بجانب دكان والدى عشية أحد الأيام وفجأة وفى بداية الشارع الطويل لحننا ، لآخ لى أحد معارفى القدماء. لقد ميزته ببذنه الممتلىء وقدّه القصير نسبيا. بدأ يقرب شيئا فشيئا ثم مال إلى حافة الطريق حيث كنت واقفا. حيانى بابتسامته البريئة ثم مديده مصافحا لى...

«أين أنت يا ولد...» قالها مستفسرا عن قلّه ظهورى وطول غيابى عنه.

- «مشغول يا أخى ، زد على ذلك أن فصل الشتاء مُفرق للجماعات حيث نهاره قصير لا يسمح للإنسان بأن يكون له برنامج عريض للزيارات واللقاءات». ثم سألته عن أحواله فأجاب بأنه يستعد لأن يسافر إلى فرنسا ليكمل دراسته العلميه هناك ، ثم بلا مقدمات أدار وجهه الكلام إلى مسألة التاريخ الإسلامى وقال لى : «إن التاريخ الإسلامى يحتاج إلى إعادة دراسة وتحقيق فقد عشنا طول أعمارنا نردد ما كتب لنا وما خطه الأولون دون درايه أو تحقيق حتى صارت أشياء كثيرة عندنا من المسلمات.

ولا تنس - أردف قائلا - أن التاريخ مفتاح مهم لفهم كثير من الحقائق التى تمس عقيدتنا نحن المسلمين».

--- ... الصفحة ٨٠ ... ---

أجبتة معلقا ولا زلت بعد لم أدرك مغزى كلامه : «يا أخى إن الدعوات لإعادة قراءة أو كتابة التاريخ كثيرة وليست جديدة ، ولكن من هو القادر على القيام بهذا العمل ، وقد نتجاوز على تاريخنا العظيم بهذه الأبحاث ونفض الغبار هذا فتبقى الأجيال القادمة محرومة من تاريخنا الزاهر الباهر الذى لم يبق لدينا اليوم كمسلمين شىء نفاخر به غير هذا التاريخ الذهبى».

ابتسم الأخ وقال : «لم أقصد هذا. نُعيد قراءة التاريخ دون التجاوز عليه ، بل نطابق ما كتبه المؤرخون ونربط الخيوط ببعضها البعض حتى نحصل نتيجة وفهما جيدا لتاريخنا».

اعتذرت من هذا الأخ للحظات لأنظر فى حاجة أحد المشترين الذى وقف أمام دكان الوالد بدرأجته النارية...

- «نعم»... عدت إليه مواصلا حديثى. «إن المسألة ليست بالسهولة التى تتصور وإن كنت فى الأصل موافقا لك حول ضرورة النظر بعين

علمية محايدة بعيدا عن الأهواء والمثاليات ، خاصة وأن المؤرخين كانوا يكتبون ما يمليه عليهم ملوك عصرهم». لم يطل كلامى معه بقدر ما تواعدنا على مواصلة الحديث فى فرصة لاحقة إذا ماواتنا الظروف ، فالموضوع شيق وشائك فى نفس الوقت.

ابتعد الأخ بضعة أمتار وإذا بأحد معارفى الذى لاحظت منذ بداية حديثى مع الأخ المغادر أنه كان يحوم حولنا ولا يقدر أن يقترب منا وكأنّ لديه أمرا مهمّا يمنعه التردّد من المبادرة لقوله ، وإذا به يسرع متجها إلى

--- ... الصفحة ٨١ ... ---

حتى إذا ما اقترب منى بادرنى قائلا :

- «أتعرف هذا الشخص ؟!»

- «نعم» أجبت ، «إنّه فلان ولى معه سابق معرفة ، خيرا ماذا هناك ؟!»

- «إنّه شيعى» ، قالها الأخ وكأنّه يكشف لى سراً من أسرار الكون الخفية ، ثم أردف قائلا: «وأنا أنصحك أن لا تسمع لقوله، ولا تُعر كل ما يقول ذرّة اهتمام».

قلت مستغربا : «أولا أنا لا أعرف أنّه شيعى ، ثم إنّه لا يسعنى أن يُقبل علىّ أى إنسان مسلما أو مكلما فلا أعيره اهتماما».

- «لكن الشيعة وضعهم يختلف ، إنهم يستدرجون الإنسان قليلا قليلا حتى يوقعونه فى حائلهم ، ويفتحون عليه بابا من الفتنة لا يخرج منه أبدا ، والفتنة أشد من القتل» ، زد على ذلك أنهم يؤمنون بالتقية ويستخدمونها أبشع استغلال ، قال رقيقى مبينا.

- «قلت متعجبا : وما التقية ؟!»

- «إنها وسيلة يُخفون من ورائها عقائدهم الباطنية وهى تجيز لهم حسب رأيهم استخدام كل الوسائل والموبقات للوصول إلى غاياتهم». لم تقنعنى نصيحة الرجل المشفق علىّ بقدر ما أثار انتباهى هذه الكلمة الغريبة التى لم أكن أعرف إلى ذلك اليوم معناها.. التقية !! ولا يزول عجبى من قوم يخافون من الكلام ، ولكن ما أشبه اليوم بالبارحة فقد كان مشركوا مكة يتجنبون سماع آيات الذكر الحكيم حتى لا يُسحرون بها بزعمهم ، وقد أشار تعالى إلى فعلهم ذاك بقوله : (وَقَالَ

--- ... الصفحة ٨٢ ... ---

الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ) (١).

بل العجب أن بعضهم يُفتى بحرمه قراءة كتب الشيعة لأنها كتب ضلال بزعمه ، وعلى افتراض كونها كذلك وكون الشيعة ضلال هلا تصدّيتم لإعادتهم إلى الهدى بالحكمة والموعظة الحسنة فإنّ فى ذلك أجر عظيم !؟

وكالعادة كنت متشوقا أن ألتقى بصديقى الشيعى لأننى هذه المرة كنت متّهما له فى نفسى أنه خاتلنى وخادعنى ولم يقل لى بصراحة عن حقيقة معتقداته ، على أنه كان هناك صوت خفى فى داخل نفسى يكذب لى هذه التهمة الباطنية إذ ليس من المعقول أن يخفى علىّ هذا الصديق أشياء منكورة عمّا يعتقد. وما الداعى لذلك وهؤلاء الشيعيون عندنا يجاهرون بإنكار الخالق سبحانه وبلا حياء ولا خجل ولا- حتى مجاملة !؟ وما عسى ما كان أخفاه صديقى عني !؟ هل هناك أعظم من إنكار الخالق جلّ وعلا !؟ أو إنكار الرسالة والرسول !؟

نعم هناك بعض الأصوات ترتفع بتهم أخرى من قبيل أن الشيعة حقداء على الإسلام ، يريدون هدمه من الداخل. لكن فى سبيل بناء أى دين !؟ وها نحن فى هذا القرن نشهد أن كثيرا من المحسوبيين على السنّة قد فعلوا ما اتّهم به الشيعة بحذافيره ، فهذا كمال آتاتورك وجماعته فى تركيا قد نجحوا فى القضاء على الخلافة العثمانية وجعلوا الإسلام وقوانينه أثرا

--- ... الصفحة ٨٣ ... ---

بعد عين فى مده زمانية صغيرة جدا قياسا بتاريخ الشيعة.

ثم كيف لا يتسنى لأحد من «المسلمين» كشف هذه الخطأ وفضحها وكان الشيعة منظمة سرية ذات تنظيم سرى دقيق يصعب على أى كان اختراقه؟!!

وما بال اليهود - على دهائهم - قد انفضحت أغلب إن لم نقل كل خططهم الهدامة فى السيطرة على بلاد المسلمين حتى صارت كل أهدافهم مكشوفة بل لا يجدون فى صدورهم حرج من التبجح بها والإعلان عن نيتهم فى الماضى فيها قدما؟!!

ثم ما بال الغرب الإستعمارى قديما وحديثا لم يتفطن لسلاح الشيعة الفتاك هذا ضد الإسلام فيعمل به رغم ما لديه من الإمكانيات والمهارات التى لا يحلم الشيعة بأن يملكوها عشر معشارها؟!!

ثم بعد هذا وذاك ألم يأمرنا الله ورسوله بأن نأخذ بالظاهر وأن مناط الإسلام هو النطق بالشهادتين حتى أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اكتفى من كل شخص بهذا الحد للدخول فى الإسلام بما فى ذلك أفواج المنافقين التى كانت تملأ المدينة من حوله؟!!

ليس نقرأ فى كتاب الله تعالى هذه الآية الصريحة التى تنتقد من يجعل من نفسه وصياً ومرجعاً على إسلام الغير فيحكم بإسلام البعض ويكفر البعض الآخر وهى قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسِيَتْ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ

--- ... الصفحة ٨٤ ... ---

مَعَانِمٌ كَثِيرَةٌ... (١) الآية.

ألم يصلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على رأس منافقى المدينة عبدالله بن أبى بن أبى سلول رغم معرفته الجميع بنفاقه بشهادة كتاب الله عليه؟!!

كانت هذه كلها تساؤلات تأخذنى يمنة ويسرة ولكنى فضلت انتظار الفرصة السانحة حتى أقف على حقيقة الأمر وجلية الموضوع ، فإن الله تعالى يأمرنا بالتثبت وعدم التسرع فى إلقاء الحكم كما فى قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِيبُكُمْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) (٢) أو قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ... (٣) الآية.

\*\*\*

(١) سورة النساء : ٩٤ = «لَمَّا عَاتَبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ مَا صَدَرَ مِنْهُمْ مِنْ قَتْلِ مَنْ تَكَلَّمَ بِكَلِمَةِ الشَّهَادَةِ...» [تفسير الفخر الرازى التفسير الكبير].

= «والمعنى لا- تقولوا لمن أظهر لكم ما يدل على إسلامه (لست مؤمنا) وإنما فعلت ذلك خوف القتل ، بل اقبلوا منه ما أظهر وعاملوه بموجه» [تفسير روح المعانى للآلوسى ٣/١١٤]. تفسير الطبرى ٥/١٤٢.

(٢) سورة الحجرات : ٦. نزلت فى حق الصّحابة الأموى الوليد بن عقبه عندما كذب على رسول الله واتهم قوما بالباطل فأنزل الله فى حقه هذه الآية.

(٣) سورة الحجرات : ١٢.

--- ... الصفحة ٨٥ ... ---

حديث التقيّة

كنت أمشى مسرع الخطى عشيةً يوم ممطر وأنا أتجه إلى بيت صديقى الشيعى... طرقت الباب فخرج لى والد صديقى وهو أحد أعلام الصوفية فى مدينتنا حيث كان له مريدون و«مشجعون» على رأى هواة كرة القدم ، ولطالما شعرت أن الصوفية بكل طرقها رهبانية الإسلام ، حيث حصروا الإسلام فى بضعة أورد وجملة من المدائح والأذكار وكثيرا ما كنت أنزه الإسلام أن يقتصر فقط على هذه الجنبه الروحانية ولا يخرج إلى مجالات الحياة الأخرى بما فيها من تعقيد وتجدد. نعم جميل أن يقترب الإنسان من تلك الحالة الروحانية لكن الاقتصار على هذا الجانب فقط نقص كبير. ومما زاد تعجبنى من طرق الصوفية هو تلك الشطحات العجيبه والحركات الغريبة التى يقومون بها ولقد كنت حاضرا ذات ليلة فى سهرة صوفية حيث كانت روائح البخور وأصوات المديح والذكر تختلط مع أصوات قرع الدفوف فيصبح الموقف أشبه بالسيرك ، وحينما يحمى اللوطيس يتناول أحدهم عقرباً حياً فيبتلعه ويمسك آخر بجمر الموقد دون أن يؤثر فيه شيئاً وذاك ينام على الشوك دون وقاية تذكر وكلها تصرفات لا تُسمن ولا تغنى من جوع.

لم يطل بى الوقوف بقدر ما استدعى لى ابنه الذى خرج مستبشرا ومعتذرا عن التقصير فى زيارته لى ، ثم قادنى مرحباً إلى غرفته الصغيرة

--- ... الصفحة ٨٦ ... ---

المرتبة فى قعر منزلهم حيث وجدته منشغلا بكتابة رسالة إلى أحد أرحامه فى الخارج.

اقتربت قليلا من المدفئة الكهربائية لأجفف نفسى حيث كان شعر رأسى يقطر ماءً وكان البرد قد أثر على يدي وأذناى ، فى حين انشغل صديقى بإحضار قهوة ساخنة لنا.

- «خذ لك هذا الفنجان من القهوة حتى تشعر بالانتعاش بعد ما صرت كالفرخ المسكين بعد هذا البلبل». قال صديقى وقد أحضر القهوة معه.

- قلت له مازحا : «قد لا تكون هذه قهوة؟!»

- قال مستغربا ولم يتفطن بعد إلى مرامى من هذا السؤال الغريب : «إنها ليست مسكرة على أية حال».

- «إذا كان الأب صوفيا والإبن شيعيا فأنا أخشى أنه إذا لم تُسكرنى هذه القهوة فإنها قد تأخذنى الآن فى نشوة صوفية أجد نفسى معها أننى فى العراق زائرا مقام الشيخ عبدالقادر الجيلانى أو ربما اكتشف أنها عصير برتقال برائحة القهوة!!»

ضحك صديقى حتى احمرّ جبينه وقال : «أظنك جئت تستفسر عن التقيّة وأكيد أنك صرت تشكّ فى كلّ شىء حتى فى إسمى وقهوتى!!»

- قلت : «لماذا لم تخبرنى أن أساس مذهبكم هو التقيّة بل إن دينكم هو التقيّة؟! والآن هات ما فى جعبتك من صحيح وباطن عقائدكم ودعك من التهرّب فقد انكشفت لى هذه الخدعة».

- «هون عليك» - قال صديقى - «لقد أعطيت المسألة ما لا

--- ... الصفحة ٨٧ ... ---

تستحق».

قلت : «لماذا لم تخبرنى بمسألة التقيّة إذن ، ها ، قل لابّد أنك تخشى من الخوض فيها؟!»

- أولا : «أجاب صديقى - أنا لم تتوفر لى الفرصة لأطلعك على المسألة وثانيا : أنت لم تسألنى ، بل أقول لك أكثر من هذا ، فذات يوم جاءنى الوالد مغضبا ، مقطبا جبينه وقال لى : صرت شيعيا؟! فأجبتة : إذا صرت شيعيا فلماذا أصلى؟!»

فبهت والدى ، ثم علمت فيما بعد أن أحد اللذين أعيتهم الحيلة فى النقاش معى عمد إلى إخبار والدى بأننى شيعى ليوقع بينى وبين أبى فتنة لكن والدى تصوّر أننى أصبحت شيعيا واختلط عليه الأمر فهو لا يعرف الشيعة ككثيرين غيره.

ثم لماذا أخشى أن أتكلم معك بصراحة؟! ولماذا أخشاك أنت بالذات ، هل لديك سيفا مسلطا على رقبتى أم هل نعيش فى الدولة

الفلائيّة التي يسود فيها الاعتقاد أن الشيعة فرقة يهودية أو مجوسية وأن للشيعة ذيو لا وو...

ثم صدقني لم أخف عنك أي شيء لأنني إن خدعتك اليوم فسيأتي اليوم الذي تكتشف فيه الحقيقة من غيري إن كانت هناك حقيقة أخرى». قال صديقي ذلك بلهجة الواثق.

- «إذن أسألك لماذا تستعملون التقيّة وما هي التقيّة بالمعنى الدقيق».

«أحسنت ، الآن جئت إلى الصواب» - أجاب صديقي ثم واصل

--- ... الصفحة ٨٨ ... ---

كلامه -: «أولا ، عموما الاعتقاد بشيء وإظهار شيء آخر له وجهان متناقضان تماما. فإظهار الإيمان والإسلام وإبطان الكفر يُسمى نفاقا كما ورد عن الله ورسوله وجميع فرق المسلمين وهذا بالطبع شيء مستهجن عقلا وشرعا لأنه مخالفة وخداع».

- «وكذلك العكس» قلت مستدركا.

- «هنا مربط الفرس ، وقبل أن أجيبك دعني أسألك : متى أظهر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والسابقون من الصّحابة إسلامهم والدعوة إلى الإسلام؟!»

- «بعد ثلاث سنوات من الدعوة السريّة وبعد نزول قوله تعالى (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ)» (١) أجبت بكلّ بداهة.

- «ولماذا لم يعلن الرسول الدعوة من اليوم الأول عند نزول الوحي عليه (صلى الله عليه وآله وسلم)؟!»

- «إنّ العقل يأبى ذلك فإنّ الإسلام في بدايته كغرسه طيبة رقيقة لا تتحمّل ضربة قويّة».

- «أحسنت ، وهكذا فالعقل يحكم بعدم المجازفة والسير باتجاه معاكس للتيار ولو تأملت في هجرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وتكوينه للدولة الإسلامية الأولى ومن ثم إعلانه الحرب على قريش في السنة الثانية للهجرة وغيرها لرأيت أنّ لكلّ مقام مقالا ، فما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ليجازف بقتال المشركين في مكة لقلّة العدد والعدّة والناصر.

(١) سورة الحجر : ٩٤.

--- ... الصفحة ٨٩ ... ---

وأنا أسألك مرّة أخرى لأقترب بك أكثر من الموضوع : ماذا تعرف عن عمّار بن ياسر كصحابي سابق إلى الإسلام».

قلت : «إنّ صحابي جليل وقد بشره الرسول وأمه وأباه بالجنة لشدة ما لاقوا من العذاب والتنكيل حتّى قتل أبوه وأمه أمام ناظريه وحتّى أنه تحت وطأة التعذيب قال : «هبل ، هبل» وذكر آلهم قريش بخير».

قال صديقي مقاطعا : «لقد ارتد عمّار إذن؟!»

قلت : «يا أخى إنّ الضرورات تبيح المحظورات ، ورفع عن الأمة مالا يطيقون».

قال : «هذه هي التقيّة بعينها ورأسها».

قلت : «كيف ذلك».

قال : «عمّار كان يُبطن الإيمان ولكن أظهر الكفر بلسانه خوفا من الموت ولو كان الظاهر خلاف الباطن عموما يُفسّر بأنه نفاق ، لكان عمّار منافقا حاشاه ، وقس على هذا كثير من القضايا ، ولهذا نزل قوله تعالى (مَنْ كَفَرَ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)» (١).

(١) سورة النمل : ١٠٦. أنظر تفسير ابن كثير ٢/٦٠٩ ، تفسير الدر المنثور للسيوطي ٥/١٧٠ ، حيث يقول : وأمّا عمّار فقال لهم كلمة أعجبتهم تقيّة.

- تفسير الكشاف للزمخشري ٢/٤٣٠.

- تفسير الطبرى ١٤/١٢٢.

- تفسير القرطبي ١٠/١٨٠.

--- ... الصفحة ٩٠ ... ---

وهناك فى القرآن نظائر أخرى لهذه الآية تصبّ فى معنى واحد مثل قوله تعالى (لَا يَتَّخِذَ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاهُ... ) (١) أو قوله تعالى (وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ... ) (٢) فهل كان مؤمن آل فرعون يجرأ على إظهار إيمانه فى ذلك الجمع المتفرعن؟ وهكذا ترى أن كتمان الإيمان وإظهار الكفر ضرورة، شىء ممدوح ومرخص فيه شرعا، بعكس إظهار الإيمان وإبطان الكفر فهو نفاق وختل.

قلت بعد أن اطمئن قلبى لما سمعت: «لكن لماذا يتميز الشيعة بالتيقئة دون بقية المذاهب الإسلامية؟!»

ابتسم صديقى وأجاب: «سؤال وجيه يظهر أنك مسكت برأس الخيط كما يقال»، ثم تابع: «إنّ التيقئة فى الواقع مسألة عقلائية يستعملها الناس دائما عبر العصور حفظا للنفس والمال والعرض، سمها ما شئت تقيء، ضرورة،... أما لماذا اختص الشيعة بالتيقئة، فلكون الإضطهاد والتنكيل والقتل الذى تعرّضوا له لم تعرض له طائفة أخرى على الإطلاق وأنا أزيدك وأقول لو يترك الشيعة أحرارا فى عقائدهم لما كان هناك أى شيعى يستعمل التيقئة، وها هم اليوم منتشرون فى دول الغرب فلا تيقئة عندهم ولا غيرها بل حرية مطلقة فى عقائدهم ومجالسهم. أما أن يتوعّدك قوم بالقتل والتكفير بمجرد أن تقول إن معاوية أو أحد الصحابة فعل كذا أو

(١) سورة آل عمران : ٢٨.

(٢) سورة غافر : ٢٨.

--- ... الصفحة ٩١ ... ---

قال كذا - ممّا هو موجود فى كتب المسلمين جميعا - ثم يشنع عليك باستعمالك للتيقئة فهذا هو الحمق بعينه.

قلت وقد بقى فى النفس من مسألة التيقئة شىء: «جيد لكن لماذا تقولون وتروون أن التيقئة دينكم؟!»

قال: «لم ينتبه من شنع علينا لهذا الوصف، أأست تقول مثلا: «الدين النصيحة»، أو «من تزوّج فقد ملك نصف دينه» هذه الألفاظ تبين أهمية الموصوف فقط وليس معناها الدين الذى إن تخلّيت عنه صرت مرتدّا».

ما إن نطق صديقى بهذه الكلمات حتّى شعرت براحة نفسانية كبرى، نعم لقد انزاحت من أمام ناظرى غمامة فعاتت الرؤية لى واضحه تماما، نعم لقد كنت أحرز أن لصديقى جوابا شافيا وضافيا وهكذا كان. والواقع أن المهرجين كثير ولا تعدم تأثير أحدهم بلعطفه وضجيجه عليك لكن عندما تدخل بعقلية نقدية بعيدة عن الأحكام المسبقة تستطيع أن تهضم المسألة وينجلي عنك الغموض وسرعان ما تكتشف أن الأمر لا يعدو كونه «زوبعة فى فنان». اللهم فنا شرّ الزوابع فى الفناجين وخارج الفناجين. آمين!

\*\*\*

--- ... الصفحة ٩٢ ... ---

--- ... الصفحة ٩٣ ... ---

### نظريه وتطبيق أم أمر واقع ثم نظريه !!

كان الأستاذ يلقى درسه علينا وكان حول مسألة الشورى فى الإسلام وسرعان ما عرّج - وكثيرا ما كان يعرّج - على مصداق من مصداق الشورى فى الإسلام ألا وهى قصّة استخلاف أو بالأصحّ ترشيح عمر بن الخطّاب لستة من أعظم الصحابة.



كنت مشدوداً وكذلك كان البعض من زملائى التلاميذ لكلام الأستاذ فى تلك الحصية الصباحية من مادة التربية الإسلامية. أنهى الأستاذ كلامه بأن هذه الحركة من عمره هى إحدى وجوه الديمقراطية بمصطلح اليوم وهى ترد ما يتهمه بنا الغربيون من أننا - نحن المسلمون - ذوو نظام ثيوقراطى لا يعرف لحق الناس فى الإختيار معنى.

بعد ذلك كنت كلما سنحت لى الفرصة والموضوع ، أقول بكل فخر واعتزاز إن الديمقراطية لها جذور فى الإسلام والقرآن ، بل ربما استنبطها الغرب منا وليس من اليونان وطورها. وكان هذا الإستدلال فى الواقع كثيرا ما يؤكده أغلب أنصار النظريات والإيديولوجيات المختلفة ، فهذا الإشتراكي يقول إن الإسلام أول من جاء بالإشتراكية ، ولا تعدم شيوعيا يدعى أن محمدا وأبازر وعليا كانوا من أوائل الشيوعيين فى العالم فى مقابل أبى سفيان ومعاوية وعثمان الذين كانوا يمثلون البرجوازية فى أجلى مظاهرها أو بالمعنى الأدق كانوا إقطاعيين حتى النخاع ، بل إن

--- ... الصفحة ٩٤ ... ---

الكثير منهم يستشهد بكتاب الله وبآية من القرآن وهى قوله تعالى (مَالِكُمْ لَا تَرْجُونَ لَهِ وَقَارَا \* وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا) (١) ليشبوا أن أول من قال بنظرية النشوء والإرتقاء لداروين هو القرآن !!

وهكذا كنت أدافع بحماس عن القول بأن أول من جاء بنظرية الديمقراطية بالمعنى الواسع (على عكس ما كان يفهم منها زمن اليونانيين) هو الإسلام وأن أول من طبقها هو الرسول والصحابه من بعده.

ومع الأسف فإن هذه الظاهرة - تطويع كلام الله تعالى حسب الأهواء والإعتقادات - يمثل ظاهرة خطيرة جدا فى كل عصر. فمن يريد أن يقول إن الله جسم جالس على كرسيه فى السماء يطوع آيات القرآن لما يظن ، ومن يريد أن يثبت أن الأرض مسطحة أو مدورة يستشهد بالقرآن ، ومن يريد أن يعرف عمر وجود الإنسان على الأرض يطوع آيات الذكر الحكيم لغرضه ، بل إن «كليتون» و«رايين» المقبور استشهدا بالقرآن فى قوله تعالى (وَإِنْ جَحَّوْا لِلْسَّلْمِ فَاجْتَحِ لَهَا ) لفرض اتفاقيات الهزيمة مع ياسر عرفات هذا مع أن القرآن بتصرفهم هذا يأخذ شكل الإناء الذى وُضع فيه دون أن يكون لهم جميعا مرجعا محددًا يرجعون إليه ليفصل بينهم فيما اختلفوا فيه. وهكذا صار حالنا نحن المسلمون اليوم كحال بنى اسرائيل حيث قال تعالى فيهم : (وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اختلفوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْيًا بَيْنَهُمْ ، إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ

(١) سورة نوح : ١٣ ، ١٤ .

--- ... الصفحة ٩٥ ... ---

يختلفون) (١) هذا والله يدعونا لعدم الإختلاف بقوله تعالى : (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) (٢) فإن كان قصده تعالى بالجبل هو ذاته المقدسة ، فوالله لقد اختلف المسلمون فيها غير أنهم يشتركون فى قولهم إنه واحد فهذا ينكر الرؤية وذاك يشبها وهذا يرى أن صفاته قديمة زائدة على ذاته وآخر يقول إنها هو وهو هى.

وإن كان قصده تعالى بالجبل هو سنه رسوله وأحكام الإسلام ، فلا تسأل عما صار إليه حالنا نحن المسلمون من الإختلاف ، فالمالكي يقول بالسدل والشافعى يصر على التكتف وهذا الشيعى يؤكد على الجهر بالبسملة وهذا المالكي لا يعتبر ذلك.

وهذا الوهابى يقول إن أغلب المسلمين مشركون لم يعرفوا كنه التوحيد وحقيقته. وبقية المذاهب يعتبرون الوهابيين مارقة مرقت من الدين وخالفت إجماع المسلمين. وكل يدعى وصلاً بليلى. والله درّ الشاعر أبى العلاء حيث يقول :

- ليت شعرى ما الصحيح ؟ -

على كل حال كنت أعتقد اعتقادا جازما بأن شورى عمر بن الخطاب كانت قمة فى التعاطى الديمقراطية مع الحكم ، لكن تدور دورة الزمن دورتها فأجدنى مرة أخرى فى لقاء مفتوح مع صديقى الشيعى الذى صار كأنه المحك الذى يفصل موادى الخام وركام

أفكارى المجموع ليميز منها ما يشاء ويرمى بما يشاء مستعملا دائما غربال العقل ومرجعية القرآن

(١) سورة الجاثية : ١٧.

(٢) سورة آل عمران : ١٠٣.

--- ... الصفحة ٩٦ ... ---

الشفافة...

وبالفعل ما إن مرّت أيام قلائل حتّى جمعتنى نزهة فى واحات وغابات الرمان الكثيفة التى تمتاز بها مدينتى ، مدينة قابس ، وكان يرافقتى زيادة على الصديق الشيعي اثنين من جيرانى.

فى أثناء الطريق الذى تتدلّى على جانبيه أغصان الرمان المحملة بشمراستها وألّتى تنوء بحملها والتى كثيرا ما كنّا ونحن أطفال نقتطف منها ثم نسرّع هارين لكن نفاجا بصاحب البستان ينادينا بابتسامه عريضة فيملا لنا أيدينا بالمان الذى كان يربطه لنا بخيط يعقده على رؤوس مجموعته من الرمانات فنعود فرحين وخجلين من كرم أولئك المزارعين الظرفاء.

فى أثناء الطريق فاجأنى صديقى بسؤال قائلا : «إذا كنت بين أناس غير مسلمين وسألوك ما هى نظريّة الإسلام فى الحكم ماذا كنت تجيب؟!»

«الشورى» : أجبته صديقى ببداهه ، نعم الشورى التى طالما سمعت خطباءنا ومدرسينا يذكرونها كلّموا مرّوا بهذا الموضوع.

«بأى دليل تقول هذا الكلام» : استدرّك علىّ صاحبى.

«بالقرآن والسنة» : أجبته بكلّ عفوية.

«هات من القرآن» : أجبته محاججا.

قلت : «على ما أذكر هناك آيتان نزلتا فى مسألة الشورى ولا ثالث لهما وهاتان الآيتان هما قوله تعالى : (وَأْمُرْهُمْ شُورَى

--- ... الصفحة ٩٧ ... ---

بَيْنَهُمْ) (١) و(فَاعْفُ عَنَّهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) (٢).

قال صديقى بعد ذلك : «هذا من القرآن ، هات حديثا من السنة».

تلعثمت قليلا ثم قلت : «هل بعد كتاب الله تعالى دليل؟!»

عارضنى صديقى قائلا- : «أنت قلت عندى دليل من القرآن والسنة. ثم ما أدراك بمعنى هاتين الآيتين والسنة قد فصّلت كثيرا من

المجمل الذى ورد فى القرآن؟! فقد فصّلت مثلا عدد الركعات ومستحبات الصلاة ومكروهاتها ونواقضها وغير ذلك كثير. وأنا الآن

أريد منك ولو حديثا واحدا يوصى فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بأن خلافته (صلى الله عليه وآله وسلم) تكون بالشورى

لأنّ مراد الآيتين المذكورتين ليس خلافته (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا مسألة الحكم فى الإسلام».

قلت معلقا : «رويدك إننى أقصد بالشورى أنّ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يوص لأحد من بعده لكن ترك لهم موضوع

الشورى حلا لهذه المسألة وقد قام بها الصحابة ممن بعده على أحسن وجه ، هذا كان قصدى من وجود الشورى فى السنة».

قال صديقى وابتسامه عريضة تطبع ملامح وجهه : «لنفترض أنّ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يوص لأحد ، هل قال لنا حديثا

يقول فيه «إنّى لا أعين أحدا من بعدى لكن الأمر بينكم شورى» ؟ ثم لو قال كذلك - والواقع لم يرد لنا شىء هكذا - هل بين حدود

الشورى؟! يعنى هل تشمل جميع شعب

(١) سورة الشورى : ٣٨.

(٢) سورة آل عمران : ١٥٩.

--- ... الصفحة ٩٨ ... ---

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذى تركه أم تختص بالمهاجرين فقط؟! أو بالمهاجرين والأنصار؟! أم هى خاصة لأصحاب بدر؟! ثم من الذى له صلاحية ترشيح الفرد الذى سيتشاور حوله المسلمون؟ هل كل الأصناف التى ذكرناها؟ وما هى الشروط التى لا بد أن تتوفر فى المرشح؟ هل أنه أعلم الصحابة أم أشجعهم أم أحلمهم أم من؟! وأخطر من هذا، إذا اختلف الصحابة حول الشخص المرشح فجماعه ترتضيه وأخرى لا ترتضيه فما العمل؟ فهل يحكم كلاهما أم يُختار ثالث؟! ثم قبل هذا وذاك هل اختيار الحاكم بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هى من صلاحية الله ورسوله أم من صلاحية الأمة؟!»

شعرت بحرج شديد وبأنّ الدم سرى فى أطراف أذنى وشعرت بجفاف فى حلقى لما فاجأنى به صديقى من مطر الأسئلة هذه، لكننى ملأت نفسى حزماً وقلت له: «يا أخى إن الصحابة عملوا بما أوصى به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فهم أقرب إليه وأكثر فهما لخصوصيات ذلك الزمان».

قال صديقى بسرعة وبدون أى تفكير: «إذا كان الأمر كما تقول وإنّ الصحابة عملوا بالشورى، فلماذا حدث نزاع فى سقيفة بنى ساعدة ولماذا لم تتم البيعة جهاراً فى مسجد الرسول؟! بل لماذا لم يحضر من المهاجرين إلى السقيفة غير ثلاثة على المشهور وهم أبوبكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح؟! ولماذا حدث نزاع ولغظ وسبّ وشتم حتى قال عمر معترضاً على سعد بن عبادَةَ الأنصارى سيد الخزرج: «أقتلوا سعداً قتله الله» (١) هل

(١) صحيح البخارى : ٥/٨، ومسند أحمد، مسند عمر بن الخطاب حديث ٣٩٣.

--- ... الصفحة ٩٩ ... ---

تكون الشورى بهكذا كيفية؟! ولماذا تخلف على بن أبى طالب عن بيعه أبى بكر ولم يحضرها ولم يرتضيها، كما لم يحضرها كل بنى هاشم والزبير وسعد بن عبادَةَ وغيرهم كثير (١)؟! والأعجب من هذا كله أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مسجى فى بيته ولم يدفن بعد.

ولو كانت بيعه أبى بكر صحيحة، فلماذا يصفها عمر بأنّها «كانت فلتة ولكن وقى الله شرّها» (٢)؟!.

وأما بيعه عمر فحدث ولا حرج فلم يُشاور فيها أحد من المسلمين أصلاً وقد أوصى أبوبكر لعمر بالخلافة من بعده، تماماً كما أن أول من بايع أبابكر هو عمر يوم السقيفة. وإننا على العكس نجد أن المسلمين ومنهم أكابر الصحابة تشاءوا من بيعه عمر حتى أنهم لاموا أبابكر وقالوا له: ماذا تقول لربك غداً حيث كرهوا من عمر خشونته وغلظته وأنّ الخلافة لا تصلح له (٣). ونأتى الآن إلى قيّة التعاطى الديمقراطى الذى تقول به، وأقصد شورى عمر لنرى هل كانت فعلاً شورى كما يلتزم بها أهل السنّة كنظريّة فى الحكم أم لا؟!»

واصل صديقى: «من المعلوم إن عمر بن الخطاب كان قد عيّن سته

(١) أنظر العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسى ٤/٢٥٩.

الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١/٢٧ - ٢٨.

(٢) صحيح البخارى ٤/١١١، الكامل فى التاريخ ٢/٣٢٧، مسند أحمد، حديث السقيفة ١/١٩٣.

(٣) الصواعق المحرقة - ٧٨ والكامل فى التاريخ ٢/٤٢٥.

--- ... الصفحة ١٠٠ ... ---

من الصحابة ورشحهم لتولي مركز قيادة الأمة من بعده وهؤلاء الستة هم : علي ابن أبي طالب ، عبدالرحمان بن عوف ، سعد بن أبي وقاص ، عثمان بن عفان ، طلحة بن عبيدالله والزبير بن العوام وهنا نسأل من الذي أعطى الصلاحية في ترشيح هؤلاء؟! هل شاور بقية الصحابة أو علي الأقل أفاضل الصحابة فأشاروا عليه بهم وهذا طبعاً لم يثبت ولا حدث. ثم لماذا لم يفعل عمر وكذا أبو بكر من قبله فعل رسول الله - حسب نظرية الشورى - فيترك الأمر للمسلمين بعد وفاته ، فإذا كان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قد جاء بهذه النظرية وأن الخلافة تُحدّد بالشورى بعد موته فهلاً التزم أصحابه بذلك؟! لماذا أعرضنا عن سنة رسول الله وعينا قبل موتها مع أنه - حسب الافتراض - ليس لهم هكذا حق؟!»

«يا أخي : عمر ومن قبله أبو بكر كان خليفة وهذا من حقّ الخليفة لأنه من أدري الناس بالصلاح والصلاح» قلت معترضاً على حملة صديقي الكلامية عليّ.

أجابني صديقي بنبرة غاضبة : «ورسول الله لم يكن يدري من الأصلاح فيرشحه؟!»

قلت : «إن عصر وظروف زمن الرسول اختلفت عن زمن أبي بكر وعمر».

قال : «والآن الظروف اختلفت وقبلنا كذلك وعليه يكون لكل عصر نظرية ؟ يا أخي (رُبَّ عذر أقبح من ذنب) إن الإسلام والقرآن الذي

--- ... الصفحة ١٠١ ... ---

يقول (مِمَّا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) (١) جاء بنظرية كاملة في الحكم وفي غير الحكم ، فإذا كانت هذه النظرية هي الشورى كما تدعى فلا بد وأن تكون قائمة ثابتة مهما اختلفت الأزمان والأمكنة ، فهل يمكن أن تأتي الآن ونقول - كما يقول البعض - إن الإفطار في شهر رمضان للمسافر حرام لأن وسائل السفر الآن مريحة ومكيفة ولم يعد السفر شاقاً كما كان من قبل وبذلك نضرب بقوله تعالى (وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ) (٢) والآية فضلاً عن هذا ليست منسوخة.

ولنعد الآن إلى مسألة شورى عمر ، فإن عمر بن الخطاب قال عند مرضه «لو أدركت ابا عبيدة بن الجراح باقيا استخلفته ووليته... ولو أدركت معاذ بن جبل استخلفته... ولو أدركت خالد بن الوليد لوليته...» (٣) وفي قول آخر «لو أدركت سالم مولى أبي حذيفة لوليته» (٤). فإذاً لو كان واحد منهم حياً إلى ذلك ولما فكر في الشورى أصلاً ولضرب بها عرض الحائط. وقال عمر حول هؤلاء الستة : «ولكنني سأستخلف النفر الذين توفى رسول الله وهو عنهم

(١) سورة الأنعام : ٣٨.

(٢) سورة البقرة : ١٨٥.

(٣) تاريخ الطبري ٤/٢٢٧ والكمال في التاريخ ٣/٦٥ ، مع اختلاف يسير في الألفاظ. والإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري ١/٤٢.

(٤) مسند أحمد بن حنبل ، مسند عمر ، حديث رقم ١٣٠. تاريخ الطبري ٤/٢٢٧ والكمال في التاريخ ٣/٦٥.

--- ... الصفحة ١٠٢ ... ---

راض» (١). فهل يعنى قوله هذا أن البقية من الصحابة قد مات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو عنهم غضبان؟! وإذا لم يكن الأمر كذلك فأين أبوذر الذي قال فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : «ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على ذى لهجة أصدق من أبي ذر» (٢) واين عمار بن ياسر الذي كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يسميه بالطيب ابن الطيب ، أو بالطيب المطيب (٣).

بعد مدح عمر أولئك الستة يقول : «إن استقام أمر خمسة منكم وخالف واحد فاضربوا عنقه ، وإن استقام أربعة واختلف اثنان فاضربوا

أعناقهما»(٤). مرحى لهذه الشورى ومرحى لهذه الديمقراطية ، عجيب أمر عمر كيف يقتل رجلا- أو رجلين لا- ذنب لهما ، بل إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مات راض عن الجميع حسب قول عمر؟! وهل جعلت الشورى إلا للتشاور؟! والإختلاف أمر بديهى بل لازم وإلا فلماذا الشورى لو كان كل الناس متفقين على رجل واحد أو مفروض عليهم شخص معين؟! بل إن عمر أوصى بأكثر من ذلك حيث جعل خمسين رجلا ليضربوا أعناق الجميع إن مضت ثلاثة أيام ولم يختاروا أحدا. بل نعجب أكثر عندما يقول عمر : «وإن استقرّ ثلاثة واختلف ثلاثة».

- وذاك مستحيل لأنّ طلحة كان فى سفر خارج المدينة - «فكونوا

(١) طبقات ابن سعد ٣/٢٤٨ ترجمه عمر ، تاريخ الطبرى ٤/٢٢٨ ، الكامل فى التاريخ ٣/٦٥.

(٢) طبقات ابن سعد ، ترجمه أبى ذرّ الغفارى.

(٣) أنظر سنن ابن ماجه ٥٢/ فضائل عمار بن ياسر.

(٤) تاريخ الطبرى ٤/٢٢٩ ، طبقات ابن سعد ٣/٢٤٧.

--- ... الصفحة ١٠٣ ... ---

مع الذين فيهم عبدالرحمان بن عوف». فهل نفهم من هذا أنّ عمر يريد صراحة أن يقول إنّ الخليفة هو من يرتضيه عبدالرحمان؟! وإذا كان كذلك فلماذا هذا اللّف والدوران؟!

وتعال معى واقرا ما يقوله عمر فى هؤلاء السّنة الذين قال فيهم بنفسه إنهم ممّن مات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو عنهم راض ، لترى التناقض.

قال عمر : «والله ما ينعنى أن أستخلفك يا سعد إلا شدّتك وغلظتك ، مع أنك رجل حرب. وما ينعنى منك يا عبدالرحمان إلا أنّك فرعون هذه الأمية!!! وما ينعنى منك يا زبير إلا أنّك مؤمن الرضا ، كافر الغضب. وما ينعنى من طلحة إلا نخوته وكبره ، ولو وليها وضع خاتمه فى إصبع امرأته. وما ينعنى منك يا عثمان إلا عصيتك وحبك قومك وأهلك»(١). وهذا ما حدث فيما بعد وجرّ إلى قتل عثمان «وما ينعنى منك يا علىّ إلا حرصك عليها وإنك أحرى القوم إن وليتها أن تقيم على الحقّ المبين والصراف المستقيم»(٢).

ونقول لعمر : إذا كان هؤلاء كما وصفت فعلا فلماذا رشّحتهم للخلافة؟! ولكى تعلم أنّ المسألة كلّها لا تعدو أن تكون لعبة سياسيّة لكنّها ليست ماهرة بقدر ما هى غادرة ، أنظر ما صار إليه الأمر فى الشورى بعد وفاة عمر فقد بقى فقط مرشّحان اثنان بعد أن تنحى منها عبدالرحمان بن عوف وسعد بن أبى وقاص وزكىّ الزبير عليّا ، وعليه بقى عثمان وعليّ.

فاشترط عبدالرحمان فى المسجد والمسلمون حضور شرفا طرحه على المرشّحين وهو أن يعملوا بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة

١ و ٢) الإمامة والسياسة ١/٤٣.

--- ... الصفحة ١٠٤ ... ---

الشيخين أبى بكر وعمر.

وإنّى لأعجب من هذا الشرط الأخير. فإن كانت سيرة الشيخين مطابقة لكتاب الله وسنة رسوله فما معنى اشتراطها كشرط زائد وإن كانت مخالفة لكتاب الله وسنة رسوله فهو شرط مردود مرفوض.

ثم إنّ عبدالرحمان اشترط أن لا- يولّى عثمان ولا علىّ أحدا من قومهما إذا وصلا إلى الحكم فرفض علىّ وقبل عثمان الشرط ولكن هل وفى عثمان بذلك الشرط فعلا؟! وبعد تعيين عثمان وتنصيبه التفت عبدالرحمان إلى علىّ وقال له : «فلا تجعل يا علىّ سبيلا إلى

نفسك فإنه السيف لا غير!!» (١) دائما القمع والإجبار والتخويف ثم يأتي من يقول بعد هذا إن شوري عمر كانت أبرز مظاهر الديمقراطية؟!!

وهكذا ترى يا صديقي أن المسألة كلها تدور حول إبعاد علي عن السلطة مهما كلف الأمر ولو بالتعمية بمسألة الشورى وإلا فمن له سابقه كسابقه علي؟ ومن له جهاد كجهاده؟ ومن له علم كعلمه؟ فكيف يُقدّم من هو دونه عليه؟! ولهذا يقول أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في نهج البلاغة حول هذه المسألة:

«أما والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة وإنه ليعلم أن محلي منها محلّ القطب من الرّحا، ينحدر عنّي السيل ولا يرقى إلّي الطير، فسدت دونها ثوباً وطويت عنها كشحا، وطفقت أرتئي بين أن أصول بيد جدّاء أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتّى يلقى

(١) الإمامة والسياسة ١/٤٥.

--- ... الصفحة ١٠٥ ... ---

ربّه، فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى أرى تراثي نهياً، حتّى مضى الأوّل لسبيله فأدلى بها إلى فلان بعده... فيا عجباً بينا هو يستقبلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته - لشد ما تشطّرا ضرعيها - فصيرها في حوزة خشناء يغلظ كلمتها ويخشن مسيها ويكثر العثار فيها والإعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم وإن أسلس لها تقحّم، فمضى الناس - لعمر الله - بخبط وشماس وتلون واعتراض فصبرت على طول المدة وشدّة المحنة، حتّى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أتى أحدهم. فيا لله وللشورى متى اعترض الريب فيّ مع الأوّل منهم حتّى صرت أقرن إلى هذه النظائر لكنتي أسففت إذا أسفوا وطرت إذ طاروا، فصغا رجل منهم لضغنه ومال الآخر لصره مع هن وهن إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه وقام معه بنو أبيه [يقصد بنو أمية] يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع إلى أن انتكث عليه فتله وأجهز عليه عمله وكبّ به بطنته» (١).

ولتعرف أن الإسلام ونظرية الحكم فيه ليست شوري فانظر إلى حكّام بنو أمية وحكّام بنو العباس وحكّام بنو عثمان وإلى يومنا هذا تجد المسألة كلها بالتعيين وبالتنصيب ولا شوري ولا أثر للشورى. بل وصل الأمر بعلماء السنّة إلى أن يقولوا نحن مع من غلب (٢) وقالها ابن عمر عندما أقرّ ببيعة يزيد الفاجر الفاسق وبيعة عبد الملك ابن مروان وحتّى أجمع أغلب علماء أهل السنّة أن الخروج على السلطان حرام لأنه فتنه ولا بدّ من

)

(١) نهج البلاغة الخطبة ٣ المعروفة بالشقشقية.

(٢) هو عبدالله بن عمر حيث كان يقول: لا أقاتل في الفتنة وأصلي وراء من غلب [طبقات ابن سعد في ترجمة ابن عمر].

--- ... الصفحة ١٠٦ ... ---

السمع والطاعة ولو وُلّي على المسلمين عبداً حبشى رأسه كالزبيبة ولو ألهب الحكّام ظهور الناس بالسياط... (١) هذا مع أن القرآن يقول (وَلَا تَزْكُورُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ) (٢).

وهكذا ترى أن مسألة الشورى كنظام حكم لا أصل لها نظري ولا عملي، والعجيب إنه عندما تقول الشيعة إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أوصى لعلي (عليه السلام) تجد القوم يعترضون عليك ويكثر لغظهم معك ويرفعون في وجهك مسألة الشورى مع أن الواقع يؤكّد أن الحكم الإسلامي قام ولا يزال على التنصيب والتعيين.

قلت وقد وجدت نفسي محاصراً من جميع الجهات: «إذن وبناء على ما قلت فالإسلام قائم على التنصيب والتعيين؟!»

«من دون أى شك ، أردف صديقى وواصل : «بل لقد ثبت عند جميع المسلمين ورؤساء الدين أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : «إن الخلفاء من بعدى اثنا عشر» (٣) ولقد تحير علماء السنّة فى دلالة هذا الحديث تحيرا عجيبا فلم يتوصلوا إلى شىء من كنهه. وقال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم غدير خمّ بعد حجّة الوداع وقبل وفاته بقليل «من كنت مولاه فهذا علىّ مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» (٤)

(١) صحيح البخارى ٩/١١٣ ، مسند احمد ٢/١١١.

(٢) سورة هود : ١١٣.

(٣) صحيح البخارى ٤/١٦٥ كتاب الأحكام ، و مسلم ٣/١٤٥٣ كتاب الإمارة ، مسند أحمد ٥/١٠٠ ، سنن أبى داود ٤/٨٦.

(٤) مسند أحمد ١/١١٨ و ١١٩ ، سنن الترمذى ٥/٦٣٣.

--- ... الصفحة ١٠٧ ... ---

وهو حديث غاية فى الصراحة استخلاف علىّ وليس كما يتأول القوم من أنه يعنى التاصر والمحبّ لأن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وحول الولاية التى كانت له على المسلمين إلى علىّ ولو كانت الولاية هنا بمعنى النصرة والمحبة لكانت ولاية الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على المسلمين منحصرة بذلك فقط والمعلوم أنّها كانت أوسع من ذلك بكثير. وقال تعالى فى حقّ علىّ (إِنَّمَا وَثَّقْتُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) (١) وقصة الآية مشهورة كما تروىها التفاسير ، حيث أنّ سائلا دخل المسجد فلم يعطه أحد شيئا وكان علىّ (عليه السلام) راكعا فمدّ له إصبعه وأعطاه خاتمه (٢).

وقد ردّ بعض المعاندين بأنّ الآية شاملة ، تشمل بعد الله ورسوله كلّ من آمن وصلى وآتى الزكاة وركع. وهذا استدلال سخيف إذ أنّ الصلاة مشتملة على الركوع بالبداهه ، لكن المعنى الصحيح أنّ الآية تريد أن تقول للمسلمين لا يوجد أى ولى لكم سوى - لوجود أداة الحصر إنّما - الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم فى حالة الركوع فتصبح «وهم راكعون» حالا. وانظر إلى الآية الأخرى حيث تقول (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا

(١) سورة المائدة : ٥٥.

(٢) أنظر تفسير الطبرى ٦/١٨٦.

تفسير الدر المنثور للسيوطى ٣/١٠٥.

تفسير الزمخشرى ١/٦٢٣.

تفسير القرطبى ٦/٢٢١.

--- ... الصفحة ١٠٨ ... ---

الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ) (١) تجد أنّ كلام الله مترابط يفسّر بعضه بعضا فنجد أنّ الأولياء محصورين فى الآية السابقة بالله وبالرسول وبالمؤمنين (على) وفى هذه الآية يحثنا الله على طاعته وطاعة الرسول وطاعة المؤمنين. وليس طاعة كلّ حاكم وكلّ من هبّ ودبّ كما يقول البعض فإنّ الله تعالى لا يأمر بإطاعة الظالمين وإلا فلماذا ينهى عن الظلم ولماذا حرّمه على نفسه؟! «

قاطعت صديقى قائلا : «لكن يا أخى هذه الآيات واردة بلفظ الجمع وعلىّ (رضى الله عنه) فرد؟! «

«هذا أسلوب قرآنى موجود فى أكثر من موضع فانظر إلى قوله تعالى مثلا فى قصيته ثعلبه بن حاطب الأنصارى الذى منع الزكاة حيث قال تعالى فيه : (وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لِنِائَاتَانَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ \* فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ

مُعْرَضُونَ (٢) إلى آخر الآية وثعلبه لم يكن جماعة بل كان شخصا واحدا. على كل ، هذا أسلوب بلاغي معروف وزيادة على ذلك فإن عندنا السنة الشريفة التي بينت كثيرا من مجمل القرآن ولا يسعنا الآن أن نأتي على كل ذلك». «لكن» : قلتُ مستدركا : «الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أوصى للشيخين أبي بكر

(١) سورة النساء : ٥٩.

(٢) سورة التوبة : ٧٥ ، ٧٦. وانظر قوله تعالى في سورة المنافقون ٨/ (يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعرّ منها الأذلّ...) القائل هو رأس النفاق عبدالله بن أبي : أنظر تفسير الفخر الرازي وكذلك تفسير روح المعاني للآلوسي لهذه السورة. --- الصفحة ١٠٩ ... ---

وعمر حيث قال «اقتدوا بالذّين من بعدى أبابكر وعمر»(١).

ابتسم صديقي وقال : «إني لن أناقش في سند ورجال هذا الحديث فهو أو هن من بيت العنكبوت كما حقّقه علماء أهل السنة أنفسهم ولكن سأناقشه دلالة. لو كان الحديث صحيحا وقاله الرسول فعلا فلماذا لم يحتجّ به أبوبكر يوم السقيفة بل لماذا صار لغط وصياح فيها ؟ ولماذا رفض بيعه أبي بكر كثير من الصحابة ؟! ثم عندما استخلف أبوبكر عمر كما أشرنا لذلك سابقا لم يقل أبوبكر عندما عارضه المسلمون والصحابة ألم تسمعوا قول الرسول في عمر مثلا- ، لا بل كما قد علمت اعترض الناس على أبي بكر لغلظة عمر ولو كانوا يعلمون بالحديث لما اعترضوا.

وعلى هذا فالصحيح أن الله عيّن في كتابه المرشّح للخلافة وهو على (عليه السلام) كما قد علمت وكذلك فعل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الغدير وكان يريد أن يكتب اسمه يوم الخميس أو رزيّة الخميس (٢) لكن الصحابة منعه وقالوا حسبنا كتاب الله. وكذلك أشار الرسول إلى أن خلفاء الله ورسوله على هذه الأمة هم اثنا عشر كما نصّ على ذلك البخاري ومسلم ، وهؤلاء هم أهل البيت (عليهم السلام) على عدد نقيب بني اسرائيل ولذلك عندما ترجع إلى حديث العترة أو الثقلين تفهم هذه الحقيقة وغيرها من الحقائق وتجد فعلاً أن الإسلام والقرآن متناسق يكمل بعضه بعضا ويفسر بعضه بعضا وليس ركاما متناثرا

(١) أنظر سنن ابن ماجه ١/٣٧ فضائل أبي بكر.

(٢) أنظر رزيّة الخميس كما جاءت في الصحاح : البخاري ٤/٨٥ ، ومسلم ٣/١٢٥٧ كتاب الوصية.

--- الصفحة ١١٠ ... ---

لعبت به أيادي الحكام فصرفوا الآيات عن معانيها وألصقوا بالأحاديث الصحيحة تأويلات واهية وزادوا أحاديث موازية باطله في فضل فلان وفلان ليطفئوا نور الله لكنّ الله متمّ نوره ولو كره الكافرون.

وحديث الثقلين أشهر الأحاديث الإسلامية وأكثرها تواترا حيث يقول (صلى الله عليه وآله وسلم) «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا من بعدى أبدا كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، وإنهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض»(١) نعم حاشى لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يترك أمر الأمة سُدّي والمنافقون والكفار والروم والفرس بالمرصاد وهذا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوصي بمن يغسله ويكفّنه ويعلمنا مسائل أخرى بسيطة كأذكار التّوم وأذكار التخلّي وأدعية السفر وآداب الأكل والشرب فكيف يغفل - حاشاه - عن أمر عظيم كالخلافة ؟! ولماذا غفل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يغفل أبوبكر ولم يغفل عمر عن خطورة المسألة فعينا - وكذلك كلّ الحكّام إلى اليوم - خليفة لهما قبل موتهما ؟!

لم أجد في ختام كلامنا هذا ما أردّ به على صديقي سوى إدامة النظر إلى حقول الرمان الخضراء وقد اعدت نفسي بأن أحلّل جميع ما قاله صديقي هذا من حجج وأدلة في أوّل فرصة أخلو بها إلى نفسي...



\* \* \*

(١) صحيح الترمذى ج ٥ حديث رقم ٣٧٨٨ ، المستدرک للحاکم ٣/١٤٨ كتاب معرفة الصحابة ، وورد في صحيح مسلم بألفاظ قريبة :  
أنظر مسلم ٥/١٢٢.

--- ... الصفحة ١١١ ... ---

### قضاء محتوم...

كان لنا جار في عقده الخامس من العمر ، مشهور بقوته البدنية حيث زاده الله بسطة في الجسم ، ولا زلت أذكر كيف كان يمازحني وأنا طفل صغير فيرفعني بيديه في الهواء حتى يكاد قلبي ينخلع. كان رجلا فاضلا يحب الناس و يُحِبُّه الناس. إلى أن دهى حيننا خبر غير متوقَّع حيث هزّت حادثة قتله كلّ الجيران وكلّ معارفه وكان سبب موته أنّ أخا له طعنه في حقل نخيل لهما بآلة حادة تستعمل لقطع جريد النخل الزائد. طفق الناس يترحمون على هذا الشخص وعباراتهم مُفعممة بالأسى والأسف وينكرون غدر أخيه حيث ما كان ليقدر على أذاه لو لم يأخذه على حين غزّة. وكثيرا ما ردّد أهل الحي هذه الجملة مثل : «رحمه الله ، مكتوب عليه القتل» وكانوا يردّدون مثلا شائعا عندنا وهو : «رزقك يأتيك وأجلك تذهب إليه».

كان كلامهم يفهمني ويشعرنى أنّ المسألة كلّها لا تعدو أن تكون قضاءً محتوما وقدرا لا مفرّ منه ، فكنت أقول في نفسي «إذا كان الأمر جبرا وفعلا من الله تعالى فما ذنب ذلك الأخ القاتل؟»

لم يمض وقت طويل حتى حدثت حادثة أخرى حيث أقدمت امرأة شابة في مقتبل العمر على الإنتحار وخلفت لوعة في نفوس الناس خاصّة وأنها تركت طفلين صغيرين في عمر الزهور. وكان سبب إقدامها

--- ... الصفحة ١١٢ ... ---

على هذه الفعلة الشنيعة خلافات حادة بينها وبين زوجها. فكان كأس ماء ممزوج بكمية من مبيد الحشرات المسحوق كافيا ليوصلها إلى هذه النهاية المأساوية.

وتكرّرت نفس الكلمات ونفس التعابير حيث كنت أسمع نساء جيراننا يردّدن كلمات مثل «مكتوب عليها» «هذا قدرها» وأمثال ذلك. وترجع إلى نفسى نفس التساؤلات وأتلبس بنفس الحيرة. إذا كان هذا الفعل فعل الله ومشيئته فما ذنب هذه المسكينة وما حيلتها أمام طوفان القضاء المحتوم هذا؟! إنّها لم ترد على أن أدّت دورها المناط بعهدتها. كلّ ما خزنته في ذاكرتي من تساؤلات أفرغتها دفعة واحدة فيما بعد أمام صديقي الشيعي وكأني كنت أحمل نفسى حملا لا طاقة لي به. وكانت فرصة جديدة لنقاش مفتوح جديد ما إن طرحت أسئلتى على صديقي حتى ضحك حتى بدت نواذجه ففهمت أنّ الشيعه لها رأى آخر مغاير ١٨٠ درجة.  
«ما تقول أنت؟!» قال لي صديقي.

«أنا شخصيا لا أجدنى مرتاحا لهذه التأويلات ، ولكنى كنت خائفا من أنّ رأبي الشخصى هو فى الواقع ردّ لمشيئة الله وكفر بها فكنت رهين محذورين ،» أجبت معللا.

«إذن :» قال صديقي : «إعلم أنّ الإسلام مستحيل أن يخالف الفطرة الإنسانية وكذلك لا يمكن أن يخالف العقل ، ولكن للأسف فإن  
--- ... الصفحة ١١٣ ... ---

الأشعري(١) وجماعته خالفوا العقل والنقل بادعائهم أنّ أفعال العباد كلّها مخلوقة من الله تعالى مستدلّين على هذا الرأى بقوله تعالى على لسان إبراهيم (عليه السلام): (قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ \* وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) (٢).

مع أنّ مقصود إبراهيم (عليه السلام) واضح فهو يقصد ما تعملون من تماثيل وأصنام. والقول بالجبر هو بالضبط ما تقوله التوراة أنظر

مثلا إلى هذا النص فيها : «أنا الربّ وليس آخر مصدر النور وخالق الظلمة ، صانع السلام وخالق الشرّ أنا الربّ صانع كلّ هذا» (٣) أو مثلا : «مِنَ الرَّبِّ حُطَّوَاتِ الرَّجْلِ» (٤).

وإنّ هناك أحاديث عن أكابر الصحابة يسألون فيها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فيقول لهم - بزعم الواضعين - إنّ الأقلام جفّت وكلُّ صائر إلى ما هو مكتوب ومقدّر له (٥). وعليه نقول : رحم الله أبا جهل وأبا لهب وفرعون وهامان وكلّ مجرم في الدنيا. حيث كانوا جميعا منقّدين لمشيئة الله تعالى على أحسن وجه.

ونقول أيضا : يا نوح ويا إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد سلام الله

(١) هو الإمام أبو الحسن الأشعري الشهير.

(٢) سورة الصافات : ٩٥ ، ٩٦.

(٣) سفر أشعياء ٤٥/٧.

(٤) الأمثال ٢١/٢٤.

(٥) أنظر صحيح البخارى ٦/٢١١ وأيضاً ٦/١٢١. وموطأ مالك ، كتاب القدر ص ٦٠١ ، وسنن أبي داود ٤/٢٣٢ ، وأيضاً العقيدة الطحاوية : «وكذلك أفعالهم فيما علم منهم أن يفعلوه وكلّ ميسر لما خلق له....» (٤٤).

--- ... الصفحة ١١٤ ... ---

عليهم أجمعين ، ويا أيها الصديقون والشهداء والصالحون لا- فضل لكم ولا فخر ، إنّما أنتم أدوات جرت على أيديكم مشيئة الله وقضاؤه المحتوم وكنتم ممثّلين في مسرحية كبرى إسمها الدنيا من إخراج الله تعالى الذى قسّم الأدوار. نعوذ بالله من فلتات اللسان وزيفان الأذهان.

ويا إسرائيل ، أغزى أرضنا واقتلى شبّاننا ودنّسى مقدساتنا ، فلا إثم عليك ولا حرج ، فإن استسلمنا بقبضاء الله وإن ثرنا ورميناك فى البحر فلا فضل لنا ولا عار عليك.

وعليه ، ما فعله معاوية بالمسلمين وابنه يزيد وجرائم بنى أمية وبنى العباس وجرائم الصليبيين والاستعمار الغربى لبلادنا كل هذا هو فعل الله.

فيا الله يا من وصفت نفسك بالعدل وحرّمت الظلم على نفسك ويا من هديت الإنسان النجدين لماذا خلقت الجنة والنار؟! لماذا ترصدت أعمالنا بالكرام الكاتبين؟! لماذا بعثت الرسل والأنبياء؟! أليس قد جفّ القلم وعُلم السعيد والشقى فى بطن أمهما؟! ولماذا الحساب والميزان أليست الأعمال أعمالك فهل بعد هذا الظلم من ظلم؟!»

قاطعت صديقى قائلا : «لماذا تلصقون يا معشر الشيعة كلّ مصائب الأمة ببنى أمية؟!»

«ومن غيرهم» : أجابنى صديقى بحدّة ثم أردف : «إنّ معاوية ومن بعده ملوك وأباطرة بنى أمية لمّا وجدوا أنفسهم مرفوضين من قبل الأمة لعدم شرعيتهم وكانوا فى نفس الوقت ماسكين بزمام الأمور ، أرادوا أن يجعلوا لأنفسهم شرعية زائفة فوضعوا - وعلى رأسهم معاوية - أحاديث

--- ... الصفحة ١١٥ ... ---

مكذوبة على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من أنّ الحاكم لا- يجوز الخروج عليه وإن ظلم وفسق وطغى لأنّ فى ذلك فتنه وفساد (١) ، وقالوا بعدالة كلّ من رأى الرسول حتّى مرّة واحدة - فيدخل معاوية فى هذه الدائرة العريضة - وقالوا من جملة ما قالوا : إنّ كلّ أفعال العباد هى من الله ، لماذا؟! الجواب معروف ، حتّى لا يعترض عليهم أحد سواء قتلوا أو سرقوا أو زنوا وأنّ الإنسان لا دخل له ولا فعل فى هذا كلّ. وهكذا يصبح قتل الحسين (عليه السلام) أمرا محتوما وتولّى الحجاج على رقاب المسلمين قدرا ماضيا ، فلماذا

الاعتراض والثورة والخروج و... وبعد هذا تصوّر ما لحق بأحرار أمّة محمّد من تنكيل وترهيب حيث سُلّط عليهم سيف دينى إسلامى يقطع رؤوسهم. أليسوا كانوا معترضين على أمر الله ، مبارزين للحقّ تعالى فى مشيئته ، ويا لها من تهمة سهلة رخيصة. لكن نقول للأشعري ومن والاه ، لماذا تلعنون إبليس والشياطين وقد قال إبليس مثل قولك حيث نسب الغواية لله تعالى فقال (رَبِّ بِمَا أَعْوَيْتَنِي) (٢)

\* \* \*

(١) أنظر العقيدة الطحاوية : «ولانرى الخروج على أئمتنا وولاءة أمورنا وإن جاروا ولاندعوا عليهم ، ولاننزع يداً من طاعتهم ، ونرى طاعتهم من طاعة الله عزوجل فريضة مالم يأمرها بمعصية ، وندعوا لهم بالصّلاح والمعافاة». (٧٢).

(٢) سورة الحجر : ٣٩.

--- ... الصفحة ١١٦ ... ---

--- ... الصفحة ١١٧ ... ---

### المتعة ... نكاح أم سفاح ؟

من المواضيع الساخنة التى أثارت ولا زالت تثير جدالا حادًا بين أهل السنة وبين الشيعة هو موضوع المتعة ، حيث يعتبرها أغلب أهل السنة أخت الزنا كما يعتبرون التقيّة أخت النفاق.

وفى نقاش صريح دار بينى وبين صديقى الشيعى ، أذكر أننى ولشدة ما كنت أسمع من أهل السنة من تشنيع على هذه المسألة ، أننى سألته قائلاً : «كلّ شىء عندكم معقول معشر الشيعة إلا شيئاً واحداً وهو ما يجعل فى نظرى سمعة مذهبكم هذا تذهب أدراج الرياح لو تمسكتم به ، بل إنّ العقل - وأردت أن أضربه فى الواقع بنفس سلاحه - يابى هذا الشىء فكيف بالدين الإسلامى دين الحياء والعفة؟!»

«أحسبى فهمت مرادك وما ترمى إليه»، أجب صديقى.

إذا كنت قد فهمت قصدى فأنا أسألك لماذا تعملون وتؤمنون بالمتعة؟! قلت مجيباً له.

قال صديقى : «سؤالك خطأ ، إسألنى عن مشروعية المتعة فى الإسلام ، وأجيبك فأقول : إنّ الشيعة لا يحلّون حراماً ولا يحزّمون حلالاً ، بعكس غيرنا ممّن ضلّ وأضلّ وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً. إنّ

--- ... الصفحة ١١٨ ... ---

المتعة حلال بكتاب الله (١) وسنّه رسوله وسيرة الصّحابة ولم ينه عنها إلا عمر حيث قال : «متعتان كانتا على عهد رسول الله أنا أحرمهما وأنهى عنهما» (٢).

«رويدك»، قلت مقاطعاً. «إنّ آية المتعة آية منسوخة بالآيات الأولى من سورة المؤمنون كما يقول أهل السنة وعليه لا يبقى لكم احتجاج بكتاب الله تعالى».

وهل يسبق الناسخ المنسوخ عندك؟! أجب صديقى متعجباً.

«أرجوك لا تدخلنى فى أشياء فرعية تضيع علينا البحث». قلت معلّقاً.

قال صديقى : «أنا لم أخرج من الموضوع بل أردت إجابتك وأقصد أنّ القول بأنّ آية المتعة منسوخة بالآيات الأولى من سورة المؤمنون هو قول متهافت جدًّا. لأنّ آية المتعة مدنية وسورة المؤمنون مكّية والمكّى لا ينسخ المدني. هذا أولاً ، ثمّ إنّ قول من قال إنّ آية المتعة منسوخة يؤكّد القول بأنّ المتعة نكاح شرعى وليست سفاحاً ، أى أنّ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والصّحابة كانوا

يعتبرونها زواجا شرعيا قبل نسخها حسب الافتراض (٣). وأنت إذا نظرت إلى قول عمر لرأيت أنه يعترف بأن المتعة كان معمولاً بها

(١) قوله تعالى فى سورة النساء الآية ٢٤ (فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً).

(٢) أنظر تفسير الفخر الرازى - سورة النساء - ٤/٤٢. وشهادة الصحابة على تجريم عمر : البخارى ٢/١٧٦. وابن ماجه ٢/١٨٨.

(٣) أنظر تفسير ابن كثير ١/٤٨٦.

--- ... الصفحة ١١٩ ... ---

على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أى إلى وفاة رسول الله.

قاطعت صديقى قائلا : «إن عمر لم يحرم حلالا ولم يحلل حراما حاشاه ، لكن كل ما فعله هو أنه طبق تحريم المتعة أو نسيحها وأعلم المسلمين بذلك وإلا فالمتعة نسخت فى آخر حياة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)».

«رب عذر أقبح من ذنب» أجابنى صديقى وأردف : «لو كان الأمر كما يزعمون فهل خفى الأمر على أبى بكر وقد كانت المتعة معمولاً بها طيلة خلافته؟! ، ولو كان الأمر كذلك فلماذا حرمها عمر فى زمان متأخر فى خلافته ولم يحرمها فى يوم خلافته الأول؟ ثم إن هناك أحاديث (١) عن أكابر الصحابة تؤكد أنهم كانوا يستمتعون على عهد رسول الله وعهد أبى بكر وفترة من خلافته عمر حتى نهى عمر عنها. وبهذا يتبين أن المتعة نكاح شرعى ثابت بالقرآن والسنة ولم تنسخ لا من الله ولا من رسوله وبذلك تعلم ضعف الأحاديث الكاذبة التى تقول إن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حرمها وليس أدل على ضعفها بعد ضعف رجال سندها ، اضطراب تلك الأحاديث فمزة تقول حرمت يوم الفتح ومزة يوم تبوك وغيرها ، على أنه قد تيقنت من قول عمر نفسه بأنها كانت محللة على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)».

شعرت فى نفسى بانكسار شديد لأن حلية المتعة كانت تعنى لى فيما تعنيه أشياء أخرى من لوازمها تخطئة عمر بن الخطاب ولهذا طرقت المسألة من باب آخر ، فهيات هيات التسليم بهذه السهولة.

(١) مثل الحديث عن جابر وعن عمران بن حصين وغيرها ، أنظر مسند أحمد ج ١ ، مسند عمر ، حديث رقم ٣٧١ ، وأيضا مسند أحمد ٣/٣٢٥ ; صحيح مسلم ٢/٨٩٦ - ٩٠٠ ، كتاب الحج.

--- ... الصفحة ١٢٠ ... ---

«يا أخى هل ترضى أنت أن تزوج أختك أو ابنتك زواج متعة؟! قلت لصديقى معاندا.

«عجيب أمرك. أقول لك رضى الله ورسوله والمؤمنون وتقول لى أنت هل ترضى؟! قاطعنى صديقى بنبرة غاضبه ثم واصل : «والطريف أنه ما حاورت أحدا من السنة حول المتعة إلا وسألنى هذا السؤال. إن هكذا آراء وتحسينات وو.. كلها نابعة من المزاج ولا تمت للشرع بأى صلة ومع الأسف فإننا كمسلمين وخاصة كعرب نعتبر شعبا مزاجيا ، مزاجيا فى كل شىء حتى الدين أخضعناه لمزاجنا فما وافق مزاجنا قبلنا به وما لم يوافق رفضناه. ولو نظرت بعين عقلك لرأيت أن هناك أشياء عديدة لو تركنا لأمزجتنا الحكم فيها لضربنا بالشرع كله عرض الحائط.

ولك أن تسأل أى امرأة متزوجة الآن أو حتى عزباء بل ربما عانس أصلا هل تقبلين أن يتزوج عليك زوجك ثانية أو ثالثة أو رابعة لأجابتك بالنفى هذا بالرغم من أن المسألة شرعية لا غبار عليها.

ثم اسأل من الرجال من شئت وقل له هل تقبل نفسك أن يخطب أمك الأرملة أو المطلقة رجلا بعد أبيك ويتزوج بها؟ فسترى أن حاله سينقلب وسوف يدعى أن أمه ليست بحاجة إلى الزواج وأنها وفيه لوالده ، وهكذا من التأويلات الكاذبة العديدة ولكن الحقيقة أن هواه ومزاجه هو المانع ليس إلا. وحسب رأى فى عمر بن الخطاب حرم المتعة لأنه كان شخصية مزاجية وكان يمثل التيار

المزاجى فى الصحابة ، ولو رأيت كيف وئد ابنته فى الجاهلية وكيف كان موقفه مع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم صلح حديبية وموقفه من الأعاجم وتحريم مكة والمدينة عليهم وكذلك تفضيلة

--- ... الصفحة ١٢١ ... ---

العرب على الأعاجم فى العطاء لتيقنت ممّا أقول لك(١).

وبالرغم من حليّة المتعة فإنّ الإسلام راعى حق الولى للبت فجعل زواجها متوقفاً على إذن والدها أو جدّها أو وليها عموماً ، وأنت ترى ما فى هذا الزواج من فوائد عظيمة خاصة لكثير من الشباب الذين لا يقدرّون على مصاريف الزواج الدائم أو للرجال الذين تعاني زوجاتهم من عاهات مستديمة أو مؤقتة تمنع الممارسة معهنّ وكذلك الحال بالنسبة لكثير من المطلقات والأرامل اللاتي ما زال المجتمع العربى والإسلامى ينظر إليهن نظرة دوتية ونظرة مريبة.

وأغرب من هذا إنّ هناك من علماء المسلمين من أباح للشبان أن يتزوجوا فى الغرب بعقد منقطع كحالة اضطرارية وفى نفس الوقت يحارب المتعة حرباً شعواء لقول الشيعة بها ليس إلاّ.

سألت صديقى قائلاً : «إذا كان الله تعالى يعلم أنّ العرب لا يقبلون بالمتعة فلماذا فرضها عليهم؟!»

ابتسم صديقى وقال : «أولاً لا يوجد لماذا وكيف وعلى م مع الله لأنّه هو المشرّع العالم بمصالح العباد. وثانياً : الإسلام وإن جاء فى العرب لكنه دين عالمى لا- يتقيد بقيود عرقية أو جغرافية أو لغوية وغيرها ، فما يستهجنه العرب قد يستحسنه غيرهم والعكس صحيح. وثالثاً لم يكن كلّ العرب رافضين للمتعة بدليل عمل كثير من الصحابة بالمتعة زمن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعده».

(١) أنظر ما فعله مع رسول الله يوم الحديبية : صحيح البخارى ٦/١٧٠ - ١٧١ ، صحيح مسلم ٣/١٤١١ ، كتاب الجهاد والسير / سير أعلام النبلاء - السيرة النبوية - ١/٣٥ .

--- ... الصفحة ١٢٢ ... ---

«إذن المسألة حسب رأيك نابعة من الهوى». قلت وقد بدأ الظنّ بحليّة المتعة يغلب شكى حولها؟!!

«نعم» : أجاب صديقى : «فتحريم المتعة ليس له أى أصل ، وأنا أزيدك حتّى تعلم إلى أى مدى نحن مزاجيون. كم دم سفك بغير حقّ من جزاء مسألة غشاء البكارة ، هذه العادة الجاهلية التى لم يستطع الإسلام أن يزيلها بالرغم من مضى القرون والقرون. هذه المسألة ما زالت شامخة برأسها والويل لمن يكتشف زوجها أنّ بكارتها مفتضة - خاصة فى بعض البيئات المتشددة - هذا مع أنّ العلم يقول : إنّ الممارسة الجنسية ليست السبب الوحيد لفضّ البكارة بل قد تولد الفتاة بدون بكارة أصلاً وقد تفقدها جزاء حركة شديدة عفوية وقد يكون عندها غشاء بكارة إلاّ أنّه مطاط بحيث يتمدد عند الإيلاج(١). وعلى افتراض أنّ الفتاة اقترفت فاحشة فبأى فتوى تُقتل ولا- شهود على ذلك؟ بل حتّى لو كان هناك أربعة شهود فحدّ غير المحصنة ليس القتل بالتأكيد بل الجلد. إنّ أناساً هذه عقيدتهم كيف تريد أن يقبلوا بالمتعة. على أى حال فحكم المتعة شرعاً هو الحليّة ، وعندما نقول حلال لم نأت للناس ونقول لهم تعالوا مارسوها ، بل مثل أى حلال مشروع من أراد فليفعل ومن أراد فليترك».

انتهى بنا النقاش وقد تأكّد لدىّ بما لا- مجال فيه للشك بأنّ المتعة حلال ولم تُنسخ وزادت نعمتى بعد هذا النقاش على أولئك المهزجين الذين ييغونها عوجاً فإذا كلّهم الواحد طولاً أجابوه عرضاً وهم بعد

(١) يراجع فى هذه المسألة أهل النظر والاختصاص من أطباء وممرضين وغيرهم.

--- ... الصفحة ١٢٣ ... ---

مكذبون لله وللرسول فى الدين من حيث لا يشعرون.

\* \* \*

--- ... الصفحة ١٢٤ ... ---

--- ... الصفحة ١٢٥ ... ---

**التوسل ... إيمان أم شرك؟**

لازلت أذكر تلك الولايم والإحتفالات التى كانت تُقام فى ضريح أحد الأولياء الصالحين بقريتنا وكان هذا الولي على ما تتناقله ذاكرة الأجيال أحد الشرفاء (١) المغاربة من بنى إدريس. كان بناءً تقليديًا وكانت تعلوه قبة شامخة زاد من شموخها الربوة التى كان بناء الضريح قائما عليها.

وكانت زوجه عمى تأخذنى كلما سنحت الفرصة للزيارة والتبرك. وكان هذا الضريح يعتبر ضريح القرية «الرسمى» حيث كان لكل بلدة وليها الخاص بها والذى كانت أغلب المناسبات الدينية تقام فيه كحفلات الختان ، والعودة من الحج والمولد النبوى الشريف وغيرها.

وكانت زوجه عمى توصينى فى كل زيارة بأن آخذ من تراب ذلك الضريح وأمسح به وجهى ورقبتى وصدرى لأنه كما قالت لى فيه شفاء وفيه ما فيه من دفع للآفات والأمراض. وكان أكثر ما يشدنى فى تلك الفترة من عمرى اللهو والتزهة أكثر من البحث عن أحراز وعودات. وكان هذا رسم فى موطنى يشب عليه الصغير ويهرم عليه الكبير.

ثم تمر أعوام وأعوام حتى بدأت بعض الأصوات من بعض

(١) جمع شريف وهو من ينحدر من سلاله رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

--- ... الصفحة ١٢٦ ... ---

الحركات الإسلامية الجديدة على الساحة تستكره هذه الأعمال وتعدها نوعا من الشرك أو البدعة ، وترد عليها أصوات أخرى بأننا كلنا مسلمون نعلم حدود الشرك والإيمان وأنتم لستم أوصياء على إيماننا بل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال فيما قاله آخر عمره الشريف. «إنى لأخاف عليكم أن تشركوا بعدى» (١) ، وعليه هذه أعمال مباحة إن لم تكن مشروعاً وقد مارسها المسلمون وغير المسلمين منذ كان الدين على الأرض.

نقلت مخزون أفكارى هذه فى أول نقاش لـحق مع صديقى الشيعى لأرى ماذا تقول الشيعة حولها فسألته : «ماذا تقول الشيعة فى التوسل والتبرك بآثار الأنبياء والصالحين وهل هذه بدع كما يقول بعض الناس أم لها أصل فى الإسلام؟!»

اعتدل صديقى فى جلسته ووضع قلمه الجاف الذى كان بيده على طرف طاولته فى ركن غرفته الصغيرة الخاصة ، ثم فرك أصابعه وقال : «أنا أشكرك على أسئلتك وشغفك لأن تعرف كل شىء ، لكن أنا شخص عادى فتح الله بصيرتى على الحقائق وقد لا تجد عندى كل شىء بالتفصيل ، أنا أعطيك رؤوس أقلام وواصل أنت مطالعاتك فى كل موضوع نناقشه ، فعند علمائنا الشيعة من الكتب والأشرطة والردود ما يشفى الغليل وزيادة ، بحيث لا يبقى هناك مجال للشك ولا للظن بل تخرج باليقين الكامل إن شاء الله. فيما يخص هذا الموضوع هو فى الواقع موضوعان كثر حولهما اللغط فى هذه الأزمنة الأخيرة فقط وإلا لا توجد اختلافات بين طوائف

(١) أنظر صحيح البخارى ٨/١٥١ باب الحوض.

--- ... الصفحة ١٢٧ ... ---

الأمه من قبل حولها ، ولست أبالغ إذا ما قلت إن ابن تيمية هو أول من فتح باب الفتنة فيها ولم يسبقه فى ذلك أحد فخالف بآراءه

الشاذة وأفكاره المريضة إجماع جميع علماء المسلمين وطوائفهم بل خالف حتى زعيم مذهبه أحمد بن حنبل في ذلك».

قلت : «دعنا من ابن تيمية ، أنا أريد الدليل من كتاب الله وسنة رسوله».

قال صديقي : «لأختصر عليك الطريق ولا ندخل في متاهات كلامية ، أعطيك آيتين من القرآن تبرز مشروعية التوسل ، الأولى في سورة يوسف (عليه السلام) حيث جاء إخوته إلى أبيهم بعد ندمهم على فعالهم وقالوا : (قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ \* قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ... ) (١).

فلماذا جاؤوا إلى أبيهم ولو كانوا يعلمون - وهم أبناء أنبياء - أن طلبهم ذاك كان شركا ما كانوا يطلبوه ، ولو كانوا جاهلين بأنه شرك لماذا لم ينههم أبوهم يعقوب بل وعدهم بالاستغفار لهم وقد ورد في معنى سوف أنه آخر الاستغفار لهم إلى ليلة الجمعة. وقد تقول لي إن ذلك كان جائزا في عهد يعقوب (عليه السلام) لكن الإسلام لا يجيز ذلك فأقول لك : إن الدين عند الله الإسلام وكل الأنبياء نور واحد وصدروا من معين واحد ولا يمكن أن يكون هناك عمل أو قول قال به نبي ويعتبره نبي آخر من بعده شركا. هذا من جانب ومن جانب آخر أقول إن التوسل ورد أيضا في الإسلام بصريح

(١) سورة يوسف : ٩٧ - ٩٨.

--- ... الصفحة ١٢٨ ... ---

قوله تعالى في سورة النساء : (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ ... ) (١).

فلماذا يستغفر لهم الرسول؟! هل كان الله بعيدا عنهم؟! وإذا قارنت هذه الآية مع الآية التي في سورة يوسف لوجدتهما ترميان إلى نفس المعنى تقريبا».

قلت لصديقي وقد بقي في نفسي شيء يسير من الشبهة : «ربما جاز التوسل بالنبي أو الولي في حياته لكن هل يجوز التوسل به بعد مماته؟!»

«المهم إننا أثبتنا أصل التوسل عموما». أجاب صديقي بسرعة وأردف : «فهل يجوز العمل بسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في حياته ونرمي بها عرض الجدار بعد وفاته؟!»

فهل تستطيع الآن مثلا وأنت أمام روضة النبي وقبره الشريف أن ترفع صوتك والله تعالى يقول (لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ) (٢) وهل تستطيع القول إن ذلك كان خاصا في حياته (صلى الله عليه وآله وسلم)؟! لا أتصور عقلا يقول بذلك. ثم لو كان التوسل به (صلى الله عليه وآله وسلم) حراما بعد حياته لما أجمعت الأمة بكل فرقها وعلمائها على هذا الفعل ولم يستشكلوا يوما أو يشكوا في هذا العمل ، وأحمد بن حنبل الذي يدعى الوهابيون أنهم يرجعون له في المذهب كان يتوسل ويدعو عند قبر رسول الله. فعلى هذا ،

(١) سورة النساء : ٦٤. وانظر إلى سنن ابن ماجه في حادثة الضرير الذي توسل بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ليعود له بصره فعاد ١/٤٣٦ ، باب صلاة الحاجه.

(٢) سورة الحجرات : ٢.

--- ... الصفحة ١٢٩ ... ---

كل سلف هذه الأمة وعلمائها مشركون خرجوا من ربيعة الإسلام وبقي ابن تيمية ومن والاه على الحنيفية السمحاء. وأنا أزيدك أن التوسل بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كان جائزا حتى قبل ولادته. ألا تقرأ قوله تعالى «وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا» [البقرة ٨٩].

فاليهود كانوا في حروبهم مع الأوس والخزرج ، يتوسلون بالرسول المبعوث في آخر الزمان فينتصرون (١).

«جيد. لنتقل إلى مسألة التبرك»: قلت معلقاً على كلام صديقي بعد أن رأيت أنه فعلاً لا محذور ولا ضير في التوسل بالصالحين فضلاً عن سيد الصالحين رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فإنهم وجهاء عند الله تعالى ولكل درجات.

أخذ صديقي كوباً من الماء فشربه وقال: «لقد جعلتني أتكلم كثيراً اليوم. التبرك يا صديقي قريب من التوسل وهو أن تبرك - طلباً للبركة - بآثار نبي أو صديق أو شهيد».

«أعطني دليلاً من القرآن»، قاطعت صديقي قائلاً.

«إن الله تعالى بارك أمكنه وأزمنه معينه، كما بارك فعل الصالحين من عباده. فمن الأمكنه المباركة بدليل القرآن بيت المقدس (٢) أو المسجد الأقصى، وكذلك وادي طوى (٣) حين كلم الله تعالى عبده ونبيه

(١) تفسير روح المعاني للآلوسي ١/٣١٩.

(٢) (إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ) (سورة الإسراء: ١).

(٣) (إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى) (سورة طه: ١٢).

--- ... الصفحة ١٣٠ ... ---

موسى (عليه السلام)، كذلك بيت الله الحرام (١) ومن الأزمنة المباركة ليلة القدر (٢) كما بارك تعالى مقام إبراهيم وأمرنا أن نتخذه مصلى، كما بارك أياماً مثل يوم الجمعة وبارك فعل هاجر أم إسماعيل فجعل بعضاً من أفعالها التي قامت بها شعائر في الحج.

ولهذا تجد مثلاً أن الصلاة في البيت الحرام تعدل كذا ألف صلاة في غيره، لماذا؟! لأن بركته أكبر وأعظم وهكذا...

وقد ذكر لنا القرآن رأي المؤمنين الذين غلبوا على أمرهم في قصة أصحاب الكهف (قال الذين غلبوا على أمرهم لَنَنَحِّدَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا) (٣)، بينما نجد الوهابيين اليوم يهدمون مقامات الأولياء. وهناك أحاديث (٤) حول التبرك بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وآثاره أذكر لك منها لاحقاً إن شاء الله لأنها لا تحضرنى الآن.

وكالتوسل جرت سيرة السلف على التبرك فقد كان أحمد بن حنبل مثلاً- يتبرك بشعر وقصعة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلمون احتراماً للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يتبركون بقبره ويتبركون بالقرآن فيعظمونه ويقبلونه.

(١) (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا) (سورة آل عمران: ٩٦).

(٢) (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ) (سورة الدخان: ٣).

(٣) سورة الكهف: ٢١. أنظر تفسير الطبري ١٥/١٤٧، والدر المنثور ٥/٣٧٠.

(٤) أنظر مثلاً: صحيح مسلم ٤/١٨١٦ كتاب الفضائل. ومستدرک الحاكم ٤/٥١٥.

(٥) أنظر مقدمات الجزء ١ من المسند بتحقيق أحمد محمد شاكر: آداب أحمد بن حنبل ص ٥٧، وانظر تبرك معاوية بشعر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): تاريخ الإسلام للذهبي حوادث سنة ٤١ - ٦٠ وكذلك في الكامل في التاريخ ٤/٧.

--- ... الصفحة ١٣١ ... ---

فالمسلمون لا يقصدون تعظيم أحجار القبر أو رخامه وإلا فإن المسلم لا يمكن أن يقبل رخام قصر الإليزيه مثلاً ولا يتمسح بأحجار الأهرام ولن ترى مسلماً يقبل شباكاً عادياً ولو وضعت عليه أنفس جواهر وزخرف الدنيا.

والعجب أن الوهابية تدعى أنها تقتدى بالسلف وهي مخالفة للسلف مائة وثمانون درجة. فإذا كان التوسل شركاً فأحمد بن حنبل مشرك، وإذا كان التبرك بدعةً فأحمد بن حنبل مبتدع. وقد أفاض علماءنا في هذه المواضيع لكن ماذا تفعل والقوم لا يقرؤون بل (جَعَلُوا أَصْيَابَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ...) (١) بل أكثر من هذا، عادوا كل المستحدثات العلمية «كالتلفزيون» و«الفيديو»



وغيرها (٢) !!»

اكتفيت من صديقى بهذا البيان وكنت أريد الإطراد لولا أنى خشيت أن أثقل عليه ، لذا شكرته على ما أفادنى به وأسرعت بالخروج.

\*\*\*

(١) سورة نوح : ٧.

(٢) كما فعل الطالبان فى أفغانستان وأعطوا وجها مشوّها متخلفا للإسلام من حيث لا- يشعرون. ولا- يخفى أنهم دمی فى أیدی المخابرات الغربیة.

--- ... الصفحة ١٣٢ ... ---

--- ... الصفحة ١٣٣ ... ---

### هل عرفنا الله حقًا؟!!

من مصائب الدهر إن فرق المسلمین اختلفت فى كلّ شىء حتّى فى الله سبحانه وتعالى ، وقد رأیت أن بعض فرق المسلمین تؤكّد بما ليس فيه شك أن الله فى السماء ، جسم یرى يوم القيامة بل حتّى فى المنامات وأنه يصعد وينزل ويضحك (١) وأنه جالس على العرش فوق سماواته وإلى غير ذلك من الأوصاف.

وكنت فى مدينتى قابس أعرف صديقا متشيّعا كان يقول لى إنّه فيما مضى كان منضمّا إلى جماعة «الدعوة والتبليغ» الشهيرة وكنت - يقول ذاك الصديق - كثيرا ما أأزّمهم لحسن أخلاقهم وروحيتهم العالیة وكنا ربّما اعتكفنا فى مسجد مقام الصحابى المعروف فى مدينتنا أبى لبابة الأنصارى (٢) حيث كنّا نصوم النهار ونحیی الليل ، وكنا نتناوب العبادة ساعتين ساعتين حيث ننام ونستيقظ وعندما ، یحین الثلث الأخير من الليل - یسترسل صاحبنا - نهرع إلى ساحة المسجد مسرعین مشتاقین رافعین رؤوسنا وأیدینا إلى السماء الصافیة المزدانة بنجومها ویشتد دعاؤنا ومناجاتنا ویحمى الوطیس فالله تعالى فى أقرب منازلہ إلینا فى

(١) أنظر : سنن ابن ماجه ١/٦٤ ، العقیده الواسطیة لابن تیمیة.

(٢) هو الصحابى الأنصارى «بشر بن عبدالمنذر» المعروف بأبى لبابة وله عندنا مقام جلیل ، وهو الذى ربط نفسه فى ساریة المسجد إلى أن نزلت فيه آیه قبلت توبته.

--- ... الصفحة ١٣٤ ... ---

السماء الدنيا وقد نزل إليها ینظر فى طلبات ودعوات الداعین كما یعتقد الجماعه.

ولم أكن أدرى - یواصل صاحبنا - هل كان الله تعالى ینزل معه عرشه أم یتركه شاغرا فى السماء السابعة وینزل من دونه ، وكانت مسألة الثلث الأخير من الليل تؤرقنى لأنها تناقض حقیقه علمیة صارت ثابتة منذ زمن وهى أن الأرض لا تخلو من مؤمنین كما لا تخلو الأرض من ثلث أخیر من الليل وعلى هذا لا بدّ أن یقضی الله الدهر کلّه فى السماء الدنيا ولربّما - یقول محدثى - هذا ما جعل شیخ الوهابیین (١) یدحض نظریة كرویة الأرض ویكتب كتابا حول أن الأرض منبسطة ، ولو كره غالیلو (٢) ومن جاء بعده.

على كل حال كنت ملتزما بهذه الأحادیث لأننى ما كنت أعرف أنها موضوعه ولم تأت فرصه حقیقیة للنقاش فیها ، ینهى صاحبنا كلامه.

وكنت منذ سنین أعرف ذلك الحدیث القائل والمروى عن أبى هریره وغيره والموجود فى «ریاض الصالحین» (٣) حيث یقول الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) فى : إنكم سترون ربكم يوم القيامة كالبدر لیلته تمامه.

كنت أفرح كثيرا عندما أسمع هذا الحديث فأقول : إنها من أكبر نعم

- (١) هو الشيخ ابن باز وكتابه باسم : «الأدلة النقلية والحسية على جريان الشمس وسكون الأرض وإمكان الصعود إلى الكواكب» !!  
 (٢) هو العالم الإيطالى (GALILEO - GALILEI) الذى أثبت أن الأرض كروية وأنها ليست مركز الكون.  
 (٣) للنووى. ص ٤٩٢ ; صحيح البخارى ٩/١٥٦. وكذلك سنن أبى داود ٤/٢٤٥.

--- ... الصفحة ١٣٥ ... ---

الله تعالى على أهل جنته أن يروا ربهم ، خالقهم ويتجلى لهم بكل عظمته ونوره. وكنت سمعت أن الشيعة ينكرون رؤية الله يوم القيامة فأتعجب وأغضب لأنهم يريدون أن يحرمونا من رؤية سرّ الوجود وربّ العالمين ، لكنى ما كنت أعرف دليلهم أو أدلتهم فى الموضوع.

وتسنىح لى فرصة أخرى ونقاش آخر مع صديقى الشيعى حيث وطنت نفسى هذه المرة على الصمود أمامه مهما كلفنى الأمر ، فقد بلغ السيل الزبى وليس من المعقول أن يهزمنى كل مرة.

لم تطل بنا الجلسة حتى بادرت صديقى قائلا : يظهر أنكم معشر الشيعة ينطبق عليكم المثل الشهير «خالف تعرف».

قال صديقى وعلامات العجب تطبع جبينه : «كيف ذلك ؟!»

قلت : «يا أخى أتستكثرون علينا رؤية الله عزوجلّ وهى أعظم نعمة يُنعم بها الله تعالى على عباده المؤمنين ؟!»

«ليس بالأمانى» : أجاب صديقى ، وأردف : «إنّ هذا القول فيه ما فيه لو كنت تدرى».

«وماذا فى ذلك ؟» أجبت مستنكرا.

«إنّ ذلك يستلزم أنّ الله جسم (١) وتعالى الله عن ذلك. قال

(١) وهذا ما تؤكد صحاح أهل السنّة ، فله يبدان [ابن ماجه ١/٧١ باب فيما أنكرت الجهمية ] وأنه يكشف عن ساقه يوم القيامة

[المستدرک للحاكم ٤/٥٨٢ كتاب الأهوال ] والله يصافح عمر ويدخله بيده إلى الجنة !! [ابن ماجه ١/٣٩ فضائل عمر ].

وأنّ الله وجهها ويدين وعينين ورجل وقدم وأنّه تعالى يضحك ويعجب ويفرح .... [العقيدة الواسطية لابن تيمية ].

--- ... الصفحة ١٣٦ ... ---

صديقى.

«يا أخى إنّ الله موجود وكلّ موجود لا بدّ وأن يُرى». أجبته معترضا.

«هذا هو خطأ من قال برؤية الله. لا ليس صحيحا أنّ كلّ موجود يرى. الغضب موجود والفرح موجود والحزن موجود والشهوة التى

تُذللّ عقل الإنسان بل وتؤدى به إلى المهالك كلّها موجودة ومحسوسة فهيا قل لى أين توجد ولماذا لا نراها ؟!» قال صديقى ، ثم

واصل : «وأزيدك ، أنت تؤمن أنّ لك روحا هى الأصل فيك وليس جسمك فهيا أشر إلى موضع روحك هل هى فى رأسك فى

الدماغ أم فى قلبك أم أين ؟!»

«قليلًا قليلًا» : قلت لصديقى : «أعطني دليلا من القرآن حتى لا أضيع معك».

«أحسننت بطلبك هذا». علّق صديقى وقال : «والله لا ينقضى عجبى من القائنين بأنّ الله جسم وأنه يُرى وأنه وهم يتلون الكتاب ،

إنّ القرآن يُشنع بقوة على هؤلاء ولكن ...

يقول تعالى فى كتابه المجيد (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) (١)».

«ذاك فى الدنيا» : قاطعت صديقى محاججا.

«إِنَّ الْآيَةَ فِيهَا إِطْلَاقٌ وَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ أَنَّ ذَلِكَ مَخْتَصٌّ بِالدُّنْيَا أَوْ بِالْآخِرَةِ». أَجَابَ صَدِيقِي. «وَإِلَيْكَ آيَةٌ أُخْرَى (يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ

(١) سورة الأنعام : ١٠٣.

--- ... الصفحة ١٣٧ ... ---

أَنْ تُتْرَلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ... (١) الآية. فأنت ترى أن الله يشنّع على بني إسرائيل طلبهم للرؤية وأسماهم ظالمين وأخذتهم الصاعقة لطلبهم هذا. فلو كانت الرؤية ممكنة فلماذا هذا التنكير على بني إسرائيل. ولماذا أصابتهم الصاعقة!؟

وآية أخرى (وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي) (٢) وأنت عربى تعرف ما معنى لن. ولهذا لم يقل الله لموسى لا ترانى. لاستحالة الرؤية فى الدنيا والآخرة لأنه جاء بلفظة «لن».

«إذا كانت الرؤية مستحيلة فلماذا يطلب موسى ذلك مع أن الأنبياء كما تقولون معصومون عالمون!؟» اعترضت على صديقى بهذا السؤال القوي.

«سؤال وجيه». قال صديقى ثم واصل : «موسى لم يطلب الرؤية لنفسه ولكن عندما أخذ أولئك النفر من بني إسرائيل إلى الطور وسمعوا كلام الله قالوا لموسى : لن نؤمن أن هذا كلام الله حتى نراه. لهذا أخذتهم الصاعقة. وبعد ذلك قالوا لموسى : أطلب من ربك أن تراه لأنك وجيه عنده فإذا رأيته أنت خاصة تصفه لنا بعد ذلك فتؤمن لك. فقام موسى أمام قومه بهذا الدعاء ليثبت لهم - وهو عالم - بأنه يستحيل رؤية الله ، وهو مماشاة من موسى لقومه الجاهلين ولهذا جاء الجواب من الله تعالى لموسى «لن

(١) سورة النساء : ١٥٣.

(٢) سورة الأعراف : ١٤٣.

--- ... الصفحة ١٣٨ ... ---

ترانى».

وفى آية أخرى وصف الله قوم موسى الذين طلبوا الرؤية «بالسفهاء» أنظر إلى قوله تعالى : (وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا... (١).

فموسى (عليه السلام) يقول عن هؤلاء بأنهم سفهاء وإلا ما كانوا ليجتروا بمثل قولهم ذاك».

وواصل صديقى : «وحتى تطمئن نفسك أزيد أدلة أخرى من القرآن.

يقول تعالى (مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى) (٢) فماذا رأى فؤاد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟! الجواب تقرأه فى نفس السورة : (وَلَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى) (٣) ويقول تعالى (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (٤) و (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) (٥).

«لكن» قلت مستدركا : «ما معنى إذن قوله تعالى (وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ \* إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ) (٦)؟

(١) سورة الأعراف : ١٥٥.

(٢) سورة النجم : ١١.

(٣) سورة النجم : ١٨.

(٤) سورة الشورى : ١١.

(٥) سورة الإخلاص : ٤.

(٦) سورة القيامة : ٢٢ - ٢٣.

--- ... الصفحة ١٣٩ ... ---

قال صديقي : «لو أكملت القراءة لأخذت جواب سؤالك ، فالله يقول بعدها (وَوُجُوهُ يَوْمَئِذٍ بِاسْرَةٍ \* تَتَّظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ) (١) فالآية الأولى تحكى عمّا عليه الفائزون من نصارة الوجه وجماله والثانية ما عليه الهالكون من بسارة وجه وخوف ، وأصحاب الوجوه الناضرة ينتظرون رحمة الله فى حين أصحاب الوجوه الباسرة يظنون (بمعنى اليقين) أنهم مأخوذون لا محالة ولا ينتظرون أن تلحقهم رحمة من الله.

ثم أليس الله تعالى يقول (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ) (٢) ويقول (وَهُوَ الَّذِى فِي السَّمَاوَاتِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ) (٣) ويقول (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ) (٤).

فهذا يكذب قول القائلين بأن الله تعالى فوق سماواته على عرشه جالس. ثم أسألك فأقول لك : على فرض أن الله سَيرى فى الآخرة فكيف تراه؟! من فوق؟ فقد خلى منه التحت ، أم من الأمام؟! فقد خلى منه الخلف. أم عن اليمين؟ فقد خلى منه الشمال وهكذا. ثم اعلم أن كل جسم له أبعاد ثلاثة : طول وعمق وعرض وإذا كان الله كذلك لزم أن يكون مركبا وهذا كفر». «والله». واصل صديقي : «لا أدرى على ماذا أحسد الوهابية»

(١) سورة القيامة : ٢٤ - ٢٥.

(٢) آية الكرسي - سورة البقرة - : ٢٥٥.

(٣) سورة الزخرف : ٨٤.

(٤) سورة الحديد : ٤.

--- ... الصفحة ١٤٠ ... ---

ومن يقول بمثل قولهم على ، علمهم بالجغرافيا أم علمهم بالفيزياء أم علمهم بكتاب الله الذى ينطق بلسان عربى مبین ! إنهم يرمون كل ذلك بزخارف ولا أقول أحاديث عن أبى هريرة وعن كعب الأخبار وعن فلان وفلان. يعارضون ويكذبون كتاب الله جهارا نهارا من حيث لا يدرون.

نقول لهم أَرَجِعُوا متشابه الآيات إلى محكماتها. فيقولون لا نحكم إلا بالظاهر فقط. نقول لهم خذوا بظواهر الآيات المحكمة يقولون لا ، لا يعلم تأويله إلا الله. وهذا فى الواقع بحث آخر أرى لزما على أن أطرحه معك الآن حتى يتكامل البحث». قلت لصديقي وقد هزنتى أدلته العقلية والنقلية : «نعم تفضل أفدنى».

قال صديقي مبتدأ هذا البحث الفرعى : «إن القرآن لا يمكن أن يفهمه كوحدة مترابطة إلا أهل البيت لهذا قال فيهم جدّهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : «إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض» أى هم والقرآن. وكل من «تجرأ» على كتاب الله المعجز سقط فى أخطر التاويلات وضل وأضل حتى ضاهى قول اليهود والنصارى. وسنقرأ بعضا مما ورد فى التوراة والإنجيل حتى تتيقن من ذلك. القرآن يقول مثلا : (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ) (١) ويقول (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) (٢) ويقول أيضا : (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا

(١) سورة المائدة : ٦٤.

(٢) سورة الفتح : ١٠.

--- ... الصفحة ١٤١ ... ---

بأيديهم) (١). فكما ترى لو أخذنا بظاهر هذه الآيات لكان الله متناقضا فى كلامه ، فمرة يقول إن له يداً ومرة يدان وأخرى ايد بالجمع.

القرآن يقول أيضا: (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) (٢) يعنى لن يبقى من الله غير الوجه. هل هذا معقول؟! ثم لماذا يسرى الهلاك إلى الله تعالى. هل إن هناك قوة أعلى منه تهلك كل شيء حتى أبعاض الله وليس لله أبعاض طبعاً؟! والله يقول (وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ) (٣) فى حين نعلم أن الحديد موجود فى باطن الأرض فما معنى قوله تعالى أنزلنا؟! ويقول : (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا) (٤) فهل معناه جبل مادى؟! ويقول : (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) (٥) فهل يتأذى الله؟! سبحانه من عزيز ما أمنعه. ويقول فى آيات آخر مثلا: (وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ) (٦) و(سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ) (٧). فهل يمكر الله ويسخر؟! قطعاً لا لكنّه يريد أن يقول أنه يجازى كلّ ذى فعل بفعله.

(١) سورة الذاريات : ٤٧.

(٢) سورة القصص : ٨٨.

(٣) سورة الحديد : ٢٥.

(٤) سورة آل عمران : ١٠٣.

(٥) سورة الأحزاب : ٥٧.

(٦) سورة الأنفال : ٣٠.

(٧) سورة التوبة : ٧٩.

--- ... الصفحة ١٤٢ ... ---

(وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) (١).

ونظير هذا فى القرآن كثير ، بل يحتاج إلى كتاب مفرد وقد قام علماءنا الأعلام - ورثة الأنبياء - بجهود عظيمة ومن قبله أئمتنا أئمة أهل البيت (عليهم السلام) بتوضيح الحقائق وردّ الناس إلى الصراط المستقيم. نعم هذا إسلام محمّد وعلى والحسن الشهيد والحسين الشهيد وجعفر الصادق وبقية الأئمة. لا- إسلام أبى هريرة ولا- إسلام كعب الأخبار ولا- إسلام عبدالله بن عمر ولا- إسلام معاوية والحجاج (٢).

كان صديقى يتكلم بنبرة فيها حدّة حتى سكت. عندها قلت له : «إنى أسمع هذا الكلام لأول مرّة ، فلماذا لم يقل به أحد قبلك؟!» «هذه مصيبة أخرى». قال صديقى : «حتى ترى مظلومية أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم ، وما لاقوه من حصار إعلامى شديد منعهم من نشر الحقائق كما هى ، اللهم إلا لخواصهم وصفوة الصفوة». فكما أبعد الأئمة الأطهار عن الحكم والقيادة ، أبعدوا كذلك عن المرجعية الفكرية والدينية حتى صار الدين سوقا يلججه كلّ من هبّ ودبّ.

«كنت قد وعدتني أن تعطيني أمثلة من التوراة والإنجيل حول أن الله تعالى فى السماء فهلاً فعلت؟!» قلت لصديقى مذكراً.

«أحسنت لقد ذكرتني» قالها صديقى ثم نهض إلى غرفة أخرى

(١) سورة النحل : ١١٨.

(٢) الحجّاج الذى قال عنه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) «إنّ فى ثقيف مبيراً وكذاباً» أنظر مسند أحمد ٧/١٤ ، حديث ٤٧٩٠

والجامع الكبير للترمذى ٦/٢١٧ حديث ٣٩٤٤.

--- ... الصفحة ١٤٣ ... ---

حيث مكتبة العائلة وما أسرع ما جاء وفى يده كتاب عريض ذو حجم رقى مكتوب عليه «الكتاب المقدس» وكان فيه العهدين : العهد

القديم والعهد الجديد. جلس صديقى وقال مخاطبا إيراى : «إن أهل السنة يرموننا بكل سوء مثل أننا أخذنا عقائدنا من اليهود والنصارى والمجوس وو.. وأنا سأقرأ لك عقيدة اليهود والنصارى حول الله ل ترى من منا أخذ عقائده من اليهود والنصارى. وعلى رأى المثل : رمتنى بداءها وانسلت. قالها صديقى ثم بدأ يتصفح الكتاب.

إسمع هذه مثالا : «فنزّل الربّ لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم بينهما» (١) فالله إذن يصعد وينزل.

وإليك هذا النص : «ثمّ صعد موسى وهارون وناداب وأيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل ، ورأوا إله إسرائيل وتحت رجله شبه صنعته من العقيق الأزرق الشفاف ، وكذات السماء فى النقاوة...» (٢).

فالله يرى بالعين المجردة ويوصف وله رجلان وو.. [أنظر أين موضع رجلى الله كما جاء فى مستدرک الصحيحين للحاكم فى تفسير آية الكرسي ] - المؤلف -

وتقرأ أيضا : «فلما تعمد يسوع ، صعد من الماء فى الحال ، وإذا السماوات قد انفتحت له ورأى روح الله هابطا ونازلا عليه كأنه حمامة. وإذا صوت من السماوات يقول : هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت كل سرور» (٣).

(١) سفر التكوين : ١١/٥.

(٢) سفر الخروج : ٢٤/٩ - ١١.

(٣) إنجيل متى : معمودية يسوع ، ص ٤.

--- ... الصفحة ١٤٤ ... ---

الله فى السماوات إذن ، كما تقول تلك الجماعة.

وأیضا تقرأ : «كلّ من يعترف بى أمام الناس أعترف أنا أيضا به أمام أبى الذى فى السماوات» (١).

وغير هذا كثير.

والأعجب أنّ عائشة تسخر ممن يدعى أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رأى ربّه فى ليلة المعراج وتردّ ذلك بشدة (٢) لكن لا حياة لمن تنادى.

وأختم لك هذا الموضوع بكلمة لأمير البيان على بن أبى طالب (عليه السلام) حيث يقول فى مسأله رؤيه الله تعالى وواصفه ملك الموت قبل ذلك.

يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) فى ذلك : «هل تحسّ به إذا دخل منزلا ؟ أم هل تراه إذا توفى أحدا ؟ بل كيف يتوفى الجنين فى بطن أمه ! أيلج عليه من بعض جوارحها أم الروح أجابته بإذن ربّها ؟ أم هو ساكن معه فى أحشائها ؟ كيف يصف إلهه من يعجز عن صفه مخلوق مثله !» (٣).

شعرت أنّ النقاش قد أتى على نهايته ، ولم يبق فى ذهنى بعد هذا الكلام من شبهة ، وخرجت من بيت صديقى وأنا استلذ كل كلمة قالها لى وكل آية نطق بها وكأنتى كنت أسمعها لأول مرّة فى حياتى ، وفهمت حينها

(١) إنجيل متى : ١٠ ص ١٥.

(٢) أنظر قول عائشة فى تفسير الطبرى ٢٧/٣٠ وصحيح البخارى ٦/١٧٥ ، كتاب التفسير ، سورة النجم ، وأيضا تفسير الدر المنثور للسيوطى ٧/٦٤٨ ، تفسير سورة النجم حيث ينكر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه رأى ربّه بعينه لكنه رآه بفؤاده.

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ١١٢ ص ٢١٧.

--- ... الصفحة ١٤٥ ... ---

معنى قوله تعالى عن كتابه الكريم : (لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) (١) فاللمس غير اللمس قطعاً وإلاّ فكلنا نلمس القرآن على طهارة لكن معنى ذلك أنه لا يفهم كتاب الله ولا يعيه إلاّ عباده المطهرون الذين هم عدل القرآن ، فسبحان الله الذى يعلم أين يجعل رسالاته ولولا ذلك لانخرم الدين ولأصبح أثراً بعد عين. خرجت من بيت صديقى ورأيت أن النجوم قد اشتبكت فى سماء تلك الليلة الربيعية الباردة. نعم لقد أخذنى الوقت ولم أشعر بمرور الزمان. فسارعت خطوى ومضيت نحو البيت...

\* \* \*

(١) سورة الواقعة : ٧٩.

--- ... الصفحة ١٤٦ ... ---

--- ... الصفحة ١٤٧ ... ---

### المهدى... حقيقة أم خيال؟!

كثيراً ما كنت أسمع هذه اللفظة «المهدى المنتظر» وعادة ما تقال عند السخرية ممن ينتظر حلاً خيالياً أو يعيش على أمل واه. وقد عرفت فيما بعد من خلال تهكمات بعض المعارف أن «المهدى المنتظر» عقيدة يعتقد بها الشيعة الإمامية ويدافعون عنها أشد دفاع. استغربت بادىء الأمر من هذا الكلام مع علمى بأن الشيعة يدعون أنهم أهل العقل والمنطق وأنهم لا يؤمنون بالخرافات والأساطير. ما شد انتباهى فى المسألة أن «مهدى الشيعة» حتى يرزق وليس فقط هو الإمام الأخير عندهم أى الثانى عشر. لم أصبر لأنتظر نقاشاً عفويًا مع صديقى لذا أسرعت إلى الهاتف واتصلت به. كان على طرف الخط والده فرجوته أن يخبر صديقى أنى على الخط - بقيت للحظات منتظراً وكنت أسمع صوت والد صديقى وهو يناديه. «نعم تفضّل». أجاب صديقى.

«المهدى المنتظر معك على الخط». أجبته بصوت متغير.

سمعت ضحكة عالية من صديقى ثم قال : «عرفتك ، لكن الإمام المهدى لا يكلم أحداً بالهاتف لأنه فى حال الغيبة الكبرى». «هل عندك وقت الآن تزورنى فيه حتى أعلم ما عندك فى المسألة؟» قلت لصديقى لأجعل الكلام أكثر جدية.

--- ... الصفحة ١٤٨ ... ---

«جميل ، فأنا كنت أريد أن أخرج فى نزهة إلى الشاطىء لأغيّر من الجو قليلاً ، فإن شئت - واصل صديقى - يمكنك مرافقتى ولنجعله نقاشاً سياراً هذه المرة».

«فكرة جيدة - أجبته على الفور - انتظرنى عشر دقائق وسأمرّ عليك إن شاء الله».

«أنا فى الانتظار». قالها صديقى ثم قطع الخط.

خرجنا من الحى العتيق للمدينة مرورا بالحى التجارى فحى باب البحر (١) حيث تجاوزناه واتجهنا صوب الشاطىء على طول الطريق السياحى الممتد والمؤدى فى نهايته إلى البحر.

كنت طوال الطريق أنتظر من صديقى أن يبدأ الموضوع لأنه ما كان عندى فكرة جيدة عنه لكن صديقى لم يفعل بل كان جلّ كلامنا يدور حول كرة القدم بالرغم من أنى لست من هواها.

«هل صحيح أنكم تؤمنون «بالمهدى المنتظر»؟! فجأة ودون مقدمات طرحت هذا السؤال على صديقى.

«نعم». بنعم عريضةً أجبني صديقى.

«أنا أعرف أنكم تؤمنون لكن قصدت من سؤالى أن تعطينى الدليل على هذه العقيدة؟!»

«قبل أن أجيبك ، قال صديقى أسألك بدورى سؤالاً : هل تؤمن بأن

(١) باب البحر : كل المدن الساحلية فى تونس كانت تعتمد قديما على هندسة تتمثل فى سور يحيط بالمدينة كلها ولكل طرف من أطرافها يوجد باب. والباب المواجه للبحر يسمى باب البحر.  
--- ... الصفحة ١٤٩ ... ---

الإسلام دين شامل كامل لكل البشر إلى يوم القيامة وأنه سيظهر على الدين كله؟! «  
» نعم هذا ما تعلمته وسمعتة منذ نعومة أظفارى». أجبتة قائلا.

«وهل تعلم - عقب صديقى - أننا اليوم كمسلمين متفرقون طرائق قديدا لا يكاد يجمعنا شىء غير القرآن والقبلة وأن ربنا واحد ونبينا واحد؟! وهل تعلم أننا اختلفنا فى وضوءنا وصلاتنا وحجنا ووو...؟! «  
» نعم وماذا فى ذلك؟! « أجبت صديقى.

«كيف ستتحذ إذن ونوحى بقية الأمم تحت رايه واحدة؟! ففاقد الشىء لا يعطيه كما يقال» علق صديقى ثم أردف : «وعليه نحن نحتاج إلى شخصية عبقرية تعيد جميع المسلمين إلى صفاء الإسلام وتطهره من تحريف المحرفين ومن غبار القرون حتى يعود غضا طريا كما كان على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)».

«أنا موافق لك تماما فى هذه المسألة ، فنحن فعلا نحتاج هكذا شخصية معجزة وإلا فإن واقعا يعسر على كل حكيم». قلت معلقا.

«هذا هو المهدي ، سمه العبرى ، أو سمه الموحد أو سمه صاحب النهضة الإسلامية. كلها تعنى المهدي». ختم صديقى القول.

«جيد وماذا لو كان هذا المهدي مالكيًا أو سنيًا بالمعنى الأعم ، سألت صديقى مختبرا؟! «

«وماذا لو كان شافعيًا أو حنبليًا أو أو. الإشكال يبقى. فنحن لم نستطع الأمويون أن يوحدونا ولا استطاع العباسيون ولا فعل العثمانيون بالرغم من اتحادنا جغرافيا ، فالمالكي بقى مالكيًا والشافعي شافعيًا وكلُّ

--- ... الصفحة ١٥٠ ... ---

كان متمسكا بمذهبه. بل من الطريف أن العثمانيين عندما حكموا تونس لمدة ٤ قرون كان لهم مُفتيان ، مفتى حنفى للبلاد وآخر مالكي لبقية الشعب. المهدي هو ممثل الإسلام المحمدي الصحيح الذى هو خط كل الأنبياء ولهذا سيصلى عيسى بن مريم وراءه باعتبار أن الإسلام هو دين الله الكامل والذى بشر به كل الأنبياء والمرسلون». قال صديقى.

«وطبعا ستقول لى إن الإسلام الصافى الأصيل هو مذهب الشيعة». قلت لصديقى ممازحا.

«لا أقول لك شيئا ، أنت إبحث عن الحق ولن تعمد الوصول إليه أو إلى طرف منه». أجابنى صديقى بنبرة حازمة.

«جيد كيف تقولون إن المهدي حى وإن عمره الآن - لا أدرى كم - وو.. هل هذا معقول؟! «

«هل تريدنى أن أجيبك بالحديث عن قدرة الله أم بما جاء فى الكتاب والسنة؟! « قال صديقى.

«بل بالدليل من الكتاب والسنة لأنى أعرف أن الله على كل شىء قدير وقد يجعلنى أنا الإمام المهدي». قلت معلقا.

«أولا- طول العمر ليس شيئا بدعا ، بل حقيقة يؤكدها القرآن الكريم ، ألا ترى أن نوحا لبث فى قومه ألف عام إلا خمسون ، ثم هو قطعاً لم يهلك بالطوفان بل عاش بعد قومه لهذا عندنا روايات تقول إنه ربما وصل عمره (عليه السلام) إلى أربعة آلاف سنة». أجاب صديقى ثم واصل : «وعندنا عيسى بن مريم. فنحن بشهادة القرآن نؤمن أنه حى ولم يُصلب وسيرجع إلى الدنيا وسيعيش فيها».

--- ... الصفحة ١٥١ ... ---

«يا أخى هؤلاء أنبياء والمهدي ليس نبى». قلت مقاطعا.

«المهم أن مسألة طول العمر ثابتة سواء لنبي أو لغيره ، فنحن كلامنا فى مسألة طول العمر». قال صديقى ، ثم أردف : «لماذا تخلط الأمور ببعضها؟! «



«لكن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال كما كنت أسمع إن أعمار أمته بين الستين والسبعين والمهدي من أمه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)». قلت متسائلا.

«الحديث يقصد أن السمء الغالبة على أعمار أمه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هي بذلك المقدار لكن لا ينفى هذا أن يقل أو يتجاوز عمر المسلم عن ذلك وخذ لك اليوم مئات بل آلاف الأمثلة على ذلك». قال صديقى مجيبا وواصل :

«وأنا سأعطيك دليلا من غير الأنبياء والمرسلين : أصحاب الكهف (١) لم يقل أحد أنهم أنبياء بل كانوا فتية آمنوا بربهم ، فلبثوا فى كهفهم ثلاثة قرون وعادوا إلى الحياة كما تقرأ فى القرآن.

ثم هناك الخضر (عليه السلام) والذى أجمع المسلمون على طول عمره وأنه مازال حيا إلى يومنا هذا». «عفوا». قلت مقاطعا : «الخضر نبى على ما أعتقد».

«هناك خلاف فى المسألة لكن كونه نبيا لم يرد فيه دليل». أجاب صديقى وأردف : «وشأن الخضر كشأن لقمان لم تثبت نبوتها وإن كان ذلك أمرا محتملا. واعلم أن كل فرق المسلمين تقريبا مجمعة على مسألة

(١) ( إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَرِذْنَاهُمْ هُدًى... ) [سورة الكهف : ١٣].

--- ... الصفحة ١٥٢ ... ---

المهدي وظهوره وأنه من أهل البيت لكن الخلاف بين السنة والشيعه هو أن الشيعة يقولون إنه ولد وهو ابن الإمام الحسن العسكرى (عليه السلام) ولكن السنة ينكرون ذلك ويقولون إنه سيولد فى آخر الزمان (١)».

«كيف الحل إذن»؟! قلت متسائلا.

«أنا أعطيك ثلاثة أدلة لتعلم يقينا أن المهدي وُلِدَ وأنه حى يرزق». قال صديقى ثم جلس على صخرة كانت مرمية على الشاطيء الرملى بحافه الماء وأخذت أنا أيضا مكاني إلى جانبه فقال مواصلا :

«الدليل الأول : أليس يروى المسلمون وكتب الحديث أنه من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية (٢)؟!»

«نعم هكذا سمعت». قلت معترفا.

«فمن هو إمام زمانك أنت؟!»

سكت لأنى كنت أريد أن أقول له الإمام مالك لكن خشيت أن يقول لى إنه ميت منذ قرون.

(١) ذكر المهدي وخروجه كثير من الأعلام السنة : أحمد بن حنبل فى مسنده ٥/٢٧٧ و ٣/٣٧ ، الترمذى فى صحيحه كتاب الفتن والسفارينى النابلسى صاحب ( نظم الدرّة المضيئة ، حيث يقول فيها :

منها الإمام الخاتم الفصيح ... محمد المهدي والمسيح

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٤/٩٦. وأنظر تفسير الدر المنثور للسيوطى حيث يورد خلال تفسيره لسورة الإسراء الآية ٧١ : (يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ...). يورد حديثا عن على بن أبى طالب يقول فيه : يُدعى كل قوم بإمام زمانهم وكتاب ربهم وسنة نبىهم.

وهذا يدل على أن لفظ الإمام ليس يعنى الكتاب أو النبى كما ذهب إلى ذلك البعض.

--- ... الصفحة ١٥٣ ... ---

«هذا دليل». قال صديقى ثم أردف : «والدليل الثانى ألا تقرأ فى صحيح مسلم وغيره قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إن الخلفاء من بعدى اثنا عشر (١) وكلهم من قريش؟!»

فمن هم هؤلاء الأئمة عند السنة؟! ومن هو آخرهم؟! بل من هو أولهم؟! سكت أيضا لأنى أعلم أن الجماعة أدخلوا ملوك بنى أمية

الفراعنة وهناك اضطراب حقيقى فى شرح الحديث.

«والدليل الثالث» - قال صديقى - «هو حديث الثقلين الذى قال فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «إنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض» هذا وقد ورد الحديث بألفاظ أخرى قريبة. ولنجمع ما تفرق فنقول: إن لكل زمان إمام خاص به لأنه حسب الحديث الأول لا يخلو زمان من إمام. وعدد الأئمة الشرعيين بعد رسول الله اثنا عشر. والأئمة من أهل البيت والقرآن هما ثقلا هذه الأمة ولن يفترقا أبدا ما كان هناك إسلام. فالخلاصة إذن لا بد أن يكون هذا الإمام الثانى عشر غائبا عن الأنظار حتى موجود وهو إمام زماننا وأنه سيظهر فى وقت معين بعد أن كان مختفيا خوفا من بطش الظالمين كما بطشوا بآباءه الطاهرين كعلّى والحسين وجعفر الصادق وغيرهم. واعلم أنه إذا لم تستخلص معى هذه النتيجة فستبقى الأحاديث متناثرة متراكمة لا يجمع بينها شىء. ونحن نقول لمن يعتقد أن الإمام

(١) صحيح مسلم كتاب الإمارة ج ٣. ومسنده أحمد ٥/١٠٠ وتفسير ابن كثير ٣/٣١٢ وسنن أبى داود ٤/٨٦ وغيرها.

--- ... الصفحة ١٥٤ ... ---

المهدى سيولد إمامك من هو إمام زمانك الآن حتى تعرفه ولا تموت ميتة جاهليّة؟ ومنتظر منه الجواب إذا أجاب». أنهى صديقى كلامه ورتب على كطفى وقال: «لا تُعربا لال لكل هذا الضجيج الذى تسمعه حول عقائد الشيعة فإنك رأيت بنفسك كذب ذلك الصياح، إنهم لم يتركوا عقيدة من عقائدنا إلا وأقاموا الدنيا حولها تهريجا. فحول المتعة تهريج، وحول الإمامة تهريج، وحول الصحابة صخب، وهكذا كل ذلك لكى يُبعدوا الناس عنا لكى لا يسمعوا لنا. بل وصل الأمر ببعضهم أن حذر مردييه وأفتى تابعيه بأن لا يناقشوا الشيعة لأنهم يفتنون الإنسان بل ويسحرونه كما تعتقد بعض الشعوب فى المشرق. بل وصل الأمر لأحد مفتى البلاد العربيّة أن أمر مردييه بجمع بعض الكتب الشيعة بكميات كبيرة وأمر بحرقها ويظن هذا المسكين أنه حلّ المشكل. سياسة النعمة دائما. ولا أدري إنّ القوم يزعمون إنّ فكرهم الإسلامى لا يقف أمامه أحد، فلماذا يخافون وماذا سيفعلون مع التيارات الجديدة من مادية وعلمانيّة و.. التى ملأت الأرض بالشبهات؟! والأدهى من ذلك أن علماء معتبرين من أهل السنّة خالفوا سننا عديدة للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بدعوى أنها أصبحت شعارا للرافضة وذلك مثل التختّم باليمين وتسطيع القبر وغيرها. ولهذا طالما أن الإمام المهدى هو شعار الرافضة فلن يذعنوا بكلّ الأدلة وسيخالفونها بالتأكيد نكايّة فى الروافض!! وكان عليهم أن يغيروا القبلة أيضا ويتركوا صيام رمضان لأنهما من شعار الرافضة. وهكذا أطاع كثير من الناس ساداتهم وكبراءهم فأصلوهم السبيل ولن يغنوا عنهم من الله شيئا يوم يتبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا».

--- ... الصفحة ١٥٥ ... ---

«ولهذا» - واصل صديقى كلامه لى - «إذا أردت الحقيقة فخذها من أهلها ولا تقل (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون (١)).

وإلا لكان للمسيحى اليوم الحق فى أن يتمسك بدين آباءه وأجداده وهكذا كل فرد من كل دين وملة، وهذه حجّة داحضة بصريح القرآن».

قام صديقى بعد أن أكمل كلامه ثم قمت وراءه واتجهنا عائدين من نفس الطريق وقد واعدته أن أدفع له ثمن قهوة دافئة نحتسيها فى مقهى على جانب طريق الشاطىء فى ظهر ذلك اليوم الربيعى الدافىء.

\*\*\*

--- ... الصفحة ١٥٦ ... ---

--- ... الصفحة ١٥٧ ... ---

### رمتنى بدائها... وانسلت

كان فى ىدى ذات يوم مقال لمجلّة عريية أرسله أحد القراء وكان مليئا بالسبّ والشتم لمن سمّاهم بالرافضة. وكان من جملة ما كتب أنّ الروافض يؤمنون بتناسخ الأرواح!!!

طبعاً ، صار لى شخصياً تحفّظ شديد على أى كلام يقال ضدّ الشيعة بل وغير الشيعة لأنه كما قالت العرب «ربّ مشهور لا أصل له» وأذكر أنّى مرّة تحدثت مع أحد المعارف فجرى الحديث عن الهندوس وتعجبت أنا كيف أنهم يعبدون البقرة ، فاستغرب صاحبنا وقال ، إنّ الهندوس لا يعبدون البقرة لكنهم يقدسونها والعهدة عليه. المهمّ عودت نفسى أن لا أتّهم ولا أحكم أحكاماً جازمة على عقيدة وفكر أى أحد وأى فريق حتّى أتيقن أنا بنفسى من ذلك خاصة إذا كان ذلك ممكناً لى ومتاحاً.

طبعاً ، لم أصدّق هذا الكاتب الذى رمى الشيعة الإمامية بفرية عظيمة وهى القول بتناسخ الأرواح ، لكن قلت فى نفسى لا بدّ أن هناك مسألة عند الشيعة بنى عليها القوم حكمهم هذا.

وفى أول لقاء لاحق مع صديقى الشيعى أريته ذلك المقال الذى احتفظت به فى جيبى.

قرأ صديقى المقال بعجل ، ثم وضع الورقة على طاولته وقال : «إنى أحياناً أتأسّف على العصور الإسلامية الماضية حيث كان عند المسلمين

--- ... الصفحة ١٥٨ ... ---

فعلاً علماء من مختلف المذاهب وحتّى لقد كانت مناظراتهم وعباراتهم نحو بعضهم البعض تظهر ما كانوا عليه من رفيع الأخلاق و بالأخصّ ما كانوا عليه من روح علميّة محايدة إلى حدّ ما. ولا يزول العجب ونحن فى قرن وعصر العلم كما يقال وما زلت ترى أنّ هناك من يعيش معنا ويعتقد حول الشيعة وغيرهم هكذا اعتقادات. وما سمعته أنا أغرب من هذا بكثير حتّى أنّ هناك أناساً فى بلاد إسلامية يعتقدون أنّ للشيعة زيولاً كذبول القردة مثلاً ، أو أنّ الشيعة يقولون بأنّ جبرائيل (عليه السلام) قد خان الأمانة ، لذا هم نكايه فيه يُعقّبون بعد صلواتهم اليومية بترديد عبارة «خان الأمين» ثلاثة مرات وغيرها.

هذا مع الأسف إحدى نتائج انحطاط المسلمين وتراجع الحضارة الإسلامية». استخلص صديقى.

«وطبعاً نتلقى النصيب الأكبر من الإتهامات والبهتان من الوهابيين ، ولا يزول عجبى من هذه الفرقة الصنيعة والتي هى آخر أو من آخر ما ظهر من الحركات الإسلامية وهى تكفّر وتبدّع أعرق الفرق الإسلامية تاريخاً وفكراً. وهى حركة لا نجد لها أصلاً كشجرة خبيثة وإلا فلو كانت تنتهى إلى المذهب الحنبلى لما خالفت هذا المذهب مخالقات شديدة قد تُخرج أحمد بن حنبل نفسه من دائرة الإسلام لو طبقنا ما يقولونه وما يعتقدونه فى حقّ أحمد وسيرة أحمد.

أمّا قضية التناسخ التى يرمونها بها فنحن نطلب منهم دليلاً أو قولاً واحداً ولو شاذاً قال به أحد علمائنا على مرّ التاريخ وهكذا الأمر بالنسبة لخيانة جبرائيل وغيرها.

--- ... الصفحة ١٥٩ ... ---

«أمّا ما شذ من الأقوال والآراء» - يواصل صديقى - «كمسألة القول بتحريف القرآن فإنّ فى كتب القوم كصحيح البخارى مثلاً وغيره أحاديث وآراء عن صحابة كبار كعمر وعن عائشة(١) تُفهم أنّ القرآن ناقص لكن نحن طبعاً لا نقول إنّ أهل السنّة يقولون بتحريف القرآن ، وفى كلّ مذهب هناك آراء شاذة لا يلتفت إليها أصلاً.

مسألة المتعة كذلك ، إذا تصفّحت كتب إخواننا فستجد أحاديث يرويها كبار الصحابة تؤكّد حليّة المتعة.

وأمرًا عن الإسرائيليات فحدّث ولا حرج فقد امتلأت كتب القوم بأحاديث تضرب أخلاق الأنبياء والمرسلين ، بل حتّى أخلاق سيّد المرسلين فضلا عن ضربها لعصمتهم (عليهم السلام)(٢).

وغيرنا يتهمنا بأننا لا نؤمن بالشورى بما تعنيه من ديمقراطية وغير ذلك فى حين لا تجد فى تاريخ من يعتبرونهم خلفاء شرعيين ولا فى أقوال أو أفعال الصحابة أثرا لمسألة الشورى ، بل لا تجد إلاّ السيف حاكما

(١) أنظر قول عمر فى ضياع آية الرجم وآية أخرى من كتاب الله !! صحيح البخارى ٨/٢٠٩ ، وانظر قول عائشة فى آية الرجم وآية رضاعة الكبير عشراً واللّتان ضاعتا بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): سنن ابن ماجه ١/٦٠٩ ، كتاب النكاح.

وسنن أبى داود ٢/١٨٤ ، كتاب النكاح.

وسنن النسائي ٦/١٠٠ ، كتاب النكاح.

وهناك أحاديث آخر عن غير عمر وعائشة من الصحابة.

(٢) كأحاديث أبى هريرة فى صحيح البخارى ومسلم والى تقشعر منها الأبدان. أنظر مثلا صحيح مسلم ٤/١٨٤٢ فضائل موسى ، و١٨٣٩.

--- ... الصفحة ١٦٠ ... ---

وهاديا.

إنّ الشيعية تقول مثلا بعصمة الأئمة ، فيقيمون الدنيا ولا يقعدونها تشنعا واستهزاء ، ويقولون لا أحد معصوم إلاّ النبى بل حتّى النبى يهجر ويخرّف ويخطأ ويسهو. وفى الوقت نفسه يصرون إصرارا مميتا على أنّ كل الصحابة عدول ، ثقات ، لا يتطرق الشكّ ولا إلى واحد منهم (١) وهم عشرات الألوف.

والشيعية تعتقد أنّ أفضل الناس بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هو على بن أبى طالب لأنه لم يكن أحد من الصحابة مثله فى سابقته وجهاده وعلمه (٢) وحلمه وأحاديث يرويها كلا الفريقين وترى الدنيا تقوم ولا تقعد ويتهمونا بالغلوّ وو.. فى حين نجد هناك أحاديث عند إخواننا السنّة تقول إنّ عمر من الذين تحدّثهم الملائكة (٣) وأنه لو لم يُبعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لُبعت عمر بن الخطاب (٤) وو...

يا أخى نحن نطلب قليلا- من الإنصاف فقط. ونقول لغيرنا تعال اقرأ كتبنا ، زُر علماءنا وتجوّل فى بلاد الشيعية ، وإنّه من العجيب أنّك ترى أحدنا يفاخر بأنّه زار متحف «اللوفر» وصعد إلى «برج إيفل» أو قرأ

(١) أنظر كتاب الإصابة لابن حجر ص ٦ - ٧. والعقيدة الطحاوية حيث يقول مؤلفها : «وحبهم دين وإيمان وإحسان ، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان».

(٢) وهو أول من أسلم وبدر وأحد والخندق تشهد على ما فعله بالكفار.

(٣) صحيح البخارى ٥/١٥ والجامع الكبير للترمذى ٦/٦٤ ، حديث ٣٦٩٣.

(٤) أو لو كان نبىّ بعدى لكان عمر [المستدرک للحاكم ٣/٨٥] والجامع الكبير للترمذى ٦/٥٩ حديث ٣٦٨٦.

--- ... الصفحة ١٦١ ... ---

المجموعة الكاملة للمسرحى الإنكليزى «شكسبير» وأنه يعرف الأكلات الصينية والإيطالية وغير ذلك ثم تجده «صُمُّ بُكْم» إذا سألته عن أهم عقائد الشيعية.

الإنصاف والأمانة العلمية فى النقل هذا كلّ ما نطلبه من غيرنا ليس أكثر».

\* \* \*

--- ... الصفحة ١٦٢ ... ---

--- ... الصفحة ١٦٣ ... ---

**ثم ماذا..!؟**

ثم تبين الصبح لذي عينين. فسبحان مغير الأحوال ، إذ بينما أنا جاهل بكل عقائد الشيعة ، بل كان في ذهني حولها نفور شديد ، إذ بي أرى الحقيقة ساطعة بعد أن زال الضباب.

ولشدة ما تعجبت مما تُرمى به الشيعة من أوصاف ومعتقدات لم تسمع بها الشيعة نفسها لا من قريب ولا من بعيد. ووجدت أن صفو الإسلام عند عقائد الشيعة وربطت الخيوط مع بعضها ووضعت الصور إلى جانب بعض فانحلت الألغاز وعلمت أن الإسلام - كغيره من الأديان - هُوجم بأشرس الهجمات من الداخل فضلا عن الهجوم عليه من الخارج. فإن حكام الضلال لم يدخروا وسعاً في إضافته أشياء وحذف أشياء وتقريب جماعة وتبعد أخرى.

وإن قوما رموا الكعبة المشرفة بالمنجنيق - الكعبة التي كانت العرب الجاهلية تعظمها - واستباحوا مدينة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) معقل الأنصار وقبر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يكون عندهم كبيراً تغيير سنة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وإبعاد الناس - بالترغيب والترهيب - عن آل بيت رسول الله (عليهم السلام).

ولكن الحمد لله الذي تعهد لنا بحفظ كتابه الكريم (١) وإلا لكان أثرا

(١) ( إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ).

--- ... الصفحة ١٦٤ ... ---

بعد عين ، على أن حكام سوء تلاعبوا أيضا بمعاني الآيات فصار معنى أهل البيت زوجات الرسول (١) ، وصار أولوا الأمر الذين أمر الله بطاعتهم وقرن طاعته وطاعة رسوله بهم حكام بنى أمية المُعَرَّبِدُونَ وحكام بنى العباس الفاسقون. وصارت الثورة والقيام على أولئك القردة (٢) فتنة ونكت يبعه و.. وهل يريد أولئك الحكام أكثر من ذلك ؟ فليصل المسلمون حتى تنفلق جباههم ، وليحجوا حتى تتورم أقدامهم مادام مُلكك أولئك محفوظا بأحاديث وضعها لهم من يسيل لعابه من الدرهم والدينار ، هذا بالرغم من أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حذر من كثرة الوضّاعين من بعده.

وفهمت والله الحمد لماذا يُصِرّ البعض على عدالة جميع الصحابة جميعا ولماذا يعتبرونهم خطأ أحمر لا يجوز تعديده ولماذا يأمرونا بالسكوت عما شجر بينهم. فهل هذا إلا فعل معاوية [الصحابي] ومن جاء بعده.

وكيف لا- يفعل ذلك وهو الذي فعل ما فعل وشق عصي المسلمين. أتريدون أن يكتب التاريخ عنه أنه ، غاصب ، وأنه لا يصلح للخلافة ولا تصلح له (٣) !؟

أتريدون أن تتحدث الأجيال من بعده عن فضائحه وقتله خيار

(١) كما كان ينادى بذلك عكرمة الخارجي في الأسواق [أنظر ترجمة عكرمة المنحرف هذا في كتب الرجال].

(٢) لأن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رأى في رؤيا له أن بنى الحكم بن أمية ينزون على منبره على شكل قردة. [المستدرک ٤/٤٨٠].

(٣) أنظر قول عمر في الطلقاء وأن الخلافة لا تصلح لهم [طبقات ابن سعد ٣/٣٤٢].

--- ... الصفحة ١٦٥ ... ---

الصحابه كعمار (١) والحسن بن علي وحجر بن عدى ومحمد بن أبي بكر وغيرهم؟! فما الحل إذن؟ الحل هو وضع أحاديث مكذوبة في عداله جميع الصحابه حتى أولئك الذين رأوا رسول الله مرّة واحدة. والحل في وضع أحاديث مكذوبة تتوعّد من يفتح «ملف» الصحابه حتى لا تنكشف عورة الكثير منهم. هذا هو الحل كما رآه معاوية الطليق ابن الطليق.

وعرفت فيما بعد لماذا يكون لمعاوية ولهند ولأبي سفيان وغيرهم فضائل. هل تريدون أن يسمح معاوية - وهو الحاكم الأول للمسلمين في عصره - أن يذكر المسلمون فضائح والده وأمه؟! فلماذا يكون خليفه إذا لم يَمح تلك المثالب ويبدلها بفضائل تسير بها الركبان؟! وعرفت لماذا جعلوا من أبي طالب عمّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ووالد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - عدوّ معاوية الأول - في النار؟

إنهم بحثوا في تاريخ عليّ (عليه السلام) فما وجدوا فيه أي هنة ولا أي نقطة سوداء، فجعلوا والده في ضحضاح من نار، وأبا سفيان مسلماً حسن إسلامه كما حسن إسلام هند البتول؟! وعرفت لماذا نكّل يزيد بالمدينة وقتل الأنصار (٢) في وقعة الحرة الشهيرة. أليس الأنصار هم الذين فتكوا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وآله وبآبائه

(١) قال (صلى الله عليه وآله وسلم): «عمار تقتله الفئة الباغية» [البخارى ٤/٢٥]. و [مسند أحمد ٢/١٦١].

(٢) قال (صلى الله عليه وآله وسلم): من أحبّ الأنصار أحبه الله ومن أبغض الأنصار أبغضه الله [ابن ماجه ١/٥٧ فضائل الأنصار]. و [مسند أحمد ٢/٥٠١].

--- ... الصفحة ١٦٦ ... ---

وأجداده وأحواله في معركة بدر؟! ألم يقيم الإسلام بالأنصار؟!

وهكذا مسألة عاشوراء حيث يُقتل سيّد شباب أهل الجنة الحسين بن عليّ علي يد جيش يزيد كما حورب أبوه عليّ (صلى الله عليه وآله وسلم) بواسطة معاوية وكما حورب جدّه رسول الله من طرف جدّ يزيد أبي سفيان.

وهل ينسى يزيد ثاراته من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟! هيهات إنّه رضع حليب الحقد والحسد من جدّته هند آكله الأكبّاد التي لاكت كبد حمزة سيّد الشهداء في أحد. وهل تابت وتاب الطلقاء فيما بعد؟! التاريخ وأفعالهم تنفي ذلك.

وقد واليتّ بفضل الله ومّنه عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) (١) وأبناءه المعصومين حتى أكون برىء الذمة مع الله ورسوله. أليس الله يقول بلغة الحصر: (إِنَّمَا وَثِّقُكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ \* وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْعَالِيُونَ) (٢).

وانظر إلى التفاسير والتي رغم التعظيم والحذف والزيادة والتمويه فقد قالت إنّ المقصود بالآية هو عليّ بن أبي طالب. وهل لغير عليّ ما له من الفضائل؟! وحتى علي افتراض أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يوص لأحد من بعده فكان لا بدّ أن يكون عليّ هو الخليفة

(١) قال (صلى الله عليه وآله وسلم): «إِنَّ عَلِيًّا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ وَهُوَ وَلِيُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ بَعْدِي» [أنظر سنن الترمذى ٥/٦٣٢ مناقب عليّ].

(٢) سورة المائدة: ٥٥ - ٥٦.

--- ... الصفحة ١٦٧ ... ---

لسبقه إلى الإسلام (١) ولطهارته منذ مولده إلى شهادته ولجهاده حتى قالت العرب «لا- إله إلا الله» فى حين فرّ فلان وفلان وكانت سيوفهم نظيفة لم يخذشوا بها أى مشرك حتى الضعيف فضلا عن القوى (٢).

ويقول الله تعالى (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) (٣) وهل أحد أعلم من على؟! على الذى قال فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) «أنا مدينة العلم وعلى بابها» (٤). وما معنى تشبيهه (عليه السلام) بالباب؟! المعنى فهمته فيما بعد إذ أنه من المستحيل أن نستفيد من علم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) شيئاً إلا عن طريق على.

أليس على هو الذى نزل فيه وفى فاطمة والحسن والحسين قوله تعالى (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) (٥) ألم ينزل فيهم قوله تعالى (وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) (٦).

ألم يقل لنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) «إنى تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا

(١) قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام): «صليت قبل الناس سبع سنين» [ابن ماجه ١/٤٤ فضائل على].

(٢) عن كتاب «ابن تيمية - حياته عقائده» ص ٣٢٠ لصائب عبد الحميد.

(٣) سورة الزمر : ٩.

(٤) المستدرک على الصحيحين ٣/١٢٦ كتاب معرفة الصحابة.

(٥) سورة آل عمران : ٦١.

(٦) سورة الإنسان : ٨.

--- ... الصفحة ١٦٨ ... ---

بعدى أبدا كتاب الله وعترتى أهل بيتى وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض» (١) فمن هم أهل البيت؟! هل هم عائشة وحفصة اللتان نزلت سورة كاملة تتوعدهما بالطلاق والنار (٢)؟!!

أم هم باعتراف كبار الصحابة وأمّهات المؤمنين بأنهم أصحاب الكساء الخمسة (٣).

ألم يقل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) «الخلفاء من بعدى اثنا عشر كلهم من قريش» (٤) فمن هم هؤلاء الخلفاء؟! هل نجعل معاوية منهم؟ هل نجعل يزيدا منهم؟ هل نجعل ملوك بنى أمية وملوك بنى العباس منهم؟! إذا لا يستقيم العدد.

لماذا لا يعترف العلماء والشراح بأن هؤلاء هم الأئمة الاثنى عشر من أهل البيت؟! هل نكايه فى الشيعة يضربون بأقوال الرسول ومن قبل ذلك بآيات القرآن عرض الحائط؟!!

ثم بعد المطالعة وجدت أن المحرفين لم يكتفوا بإخفاء فضائل على وأبناءه بل جعلوا فى غيرهم فضائل تضحك الشكلى من تهاويها ووهنها (٥).

(١) المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابورى ٣/١٤٨ كتاب معرفة الصحابة.

(٢) هى سورة التحريم.

(٣) كاعتراف سعد بن أبى وقاص أمام معاوية بذلك : أنظر صحيح مسلم ٤/١٨٧١ فضائل الصحابة.

(٤) صحيح مسلم ج ٣ كتاب الإمارة.

(٥) مثل : أنا مدينة العلم وعلى بابها وأبو بكر جدرانها وعمر سقفاها ومعاوية حلقتها.

أو : «أبو بكر وعمر سيّدا كهول أهل الجنة» ليقابلوا الحديث الصحيح : «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة».

--- ... الصفحة ١٦٩ ... ---

ووجدت أن الشيعة تتهم بتهم عجيبة منها سب الصحابة، والأعجب من ذلك أن الصحابة هم أول من سب بعضهم بعضاً (١)، في حياة رسول الله وبعد وفاته.

وتتهم الشيعة بالقول بالمتعة وأكابر الصحابة كابن عباس وجابر وابن حصين أكدوا حليتها بأحاديث في صحاح السنة!! وغير ذلك من التهم الواهية التي كثر حولها الصخب والتهريج.

لهذا كله عرفت أن مذهب الشيعة رغم ما يقال وما يتهم به مذهب متين، صاف لا يخالف لا العقل ولا النقل. ثم عرفت مدى سفاهة رأى من يقول إنه لا يجوز لنا الخوض في أحقية المذاهب لأننا لسنا علماء. وعلى هذا الرأى فغير المسلم يحق له التمسك بدينه حتى يصبح عالماً بالتوراة والإنجيل وغيرهما. ويصبح دين الله ديناً نخبويًا بحتاً، ويصبح رسول الله مبعوثاً للعلماء دون العوام!؟

وبعد البحث رأيت أن الجدال سهل بسيط لمن يريد أن ينكر الحقائق ولكن هلموا إلى كتاب الله المنزل لنكتفي به حجةً ودليلاً ونترك ما سواه من كتب الفريقين. إن كل عقائد الشيعة موثقة بالقرآن (٢).

(١) أنظر صحيح مسلم ٤/١٨٧١.

(٢) أنظر مثلاً سورة المائدة الآية ٥٥ حول ولاية علي (عليه السلام).

وفى موضوع الصحابة سورة الحجرات [آية ٥، ٦]، التوبة [٢٥، ٣٨، ٣٩، ٧٥ - ٧٧]، الأحزاب [١٢، ٥٣]، آل عمران [١٢١، ١٥٢، ١٥٥]، الجمعة [١١]، التحريم [٤ - ٥]، النور [١١]، الأنفال [٦٧ - ٦٩]، الأنعام [٩٣].

وفى موضوع التقية سورة آل عمران [٢٨]، غافر [٢٨]، النحل [١٠٦].

وفى مسألة المتعة سورة النساء [٢٤].

وفى مسألة أفضلية أهل البيت (عليهم السلام) سورة الأحزاب [٣٣]، آل عمران [٦١]، الإنسان [٨].

--- ... الصفحة ١٧٠ ... ---

وهكذا رأيت أن الشيعة على حق. ولو كانوا بعيدين عنه فغيرهم أبعد. ولو كان غيرهم قريب من الحق فهم أقرب. ولو كان غيرهم على الحق [وهو محال إذ أن الحق لا يتجزأ، وهل بعد الحق إلا الضلال] فهم أحق. وكل هذا بالأدلة وليس بالأمانى والخيال. وإنى والله الحمد قد توفرت لى الفرصة للإطلاع على مذهب الشيعة ولكن غيرى لم تتوفر له هذه الفرصة. وأنا أقول له أعرف مذهب الشيعة من كتبهم وعلمائهم لا بما يقوله الفاسقون (١) المغرضون.

والحمد لله الذى عزنى وله الفضل أولاً وآخراً بالمذهب الحق من بين المذاهب العديدة التى قال رسول الله إنها ستصل من بعده إلى ثلاث وسبعين (٢)، وقد وجدت الشيعة بريئين مما رُميو به عبر التاريخ وقد تعرّفت على علمائهم فيما بعد ورأيت بلادهم فلم أر إلا خيراً. والعجب أن كثيراً ممن يدعى العلم يصدّ عن سبيل الله فيمنع أتباعه ومريديه ويفتى

(١) (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ ...) [سورة الحجرات : ٦].

(٢) أنظر سنن ابن ماجه ٢/١٣٢١ كتاب الفتن ومسنند أحمد ٢/٣٣٢.

--- ... الصفحة ١٧١ ... ---

بحرمة قراءة كتب الشيعة ويأمر بحرقها إن وجدت. أليس هذا صدّ عن سبيل الله؟! فإذا كانت الشيعة ضاللاً وأهل باطل، فهلاً قرأتهم



كتبهم ورددتهم عليها بالدليل والبرهان لا بالسب والشتم. وإذا كانت صحيحة فما بالكم...؟!  
 سبحان الله ، هل يريد هؤلاء أن ينشروا دين الله فى كل الدنيا وهم يخافون من كتاب؟! كيف يقنعوا غير المسلم بالإسلام إذن؟!  
 وكيف يردون على شبهات عويصة تعصف بشباب المسلمين وتفتك بأصل الدين من الأساس؟!  
 هذا وقد رأيت أن الشيعة رغم ما يلاقونه ولا قوة يمدون أيديهم إلى كل المسلمين ، وقد رأيت أنا بعينى أشخاصا من غير مذهبهم يصلون بكل حرية فى مساجدهم ، بينما إذا صلى أحد الشيعة على طريقته فى بعض مساجد السنة يقيمون الدنيا عليه ، مما يضطره إلى التقية ، أفتحوا المجال لحرية العقيدة ولحق الاختلاف فوالله لن تجدوا شيئا واحدا يستعمل التقية.  
 ولكن الحمد لله فإن السنة والشيعة وباستثناء بعض الأزمنة والأمصار يعيشون متجاورين ، متكاتفين ، وما شجر بينهم فالحساب عند الله والملتقى يوم القيامة (١) وكل يعمل على شاكلته.

(١) (فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) [سورة البقرة : ١١٣].

وورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه يأخذ بالظاهر والله يتولى السرائر ولهذا قبل إسلام كل من نطق بالشهادتين.  
 --- ... الصفحة ١٧٢ ... ---

ومن الأشياء العجيبة التى اطلعت عليها قول من يقول إن التيجانى التونسى شخصية وهمية وكذلك غيره من المتشيعين ، وعلى افتراض أن ذلك صحيح [وهو غير صحيح قطعاً] فانظروا إلى ما قيل ولا تنظروا إلى من قال. فهل ما جاء فى تلكم الكتب صحيح أم باطل؟  
 وإذا كان باطلا فبأى دليل؟! أما التشكيك والجدال فلن يجدى شيئا.

وقد استفدت شخصيا زيادة على حواراتى ونقاشاتى مع صديقى الشيعى فى بلدى بكتب أرى نفسى ملزما بذكرها تعميما للفائدة وإرشادا لمن لا يعرف كيف يتوصل إلى مذهب الشيعة وعقائدهم أذكرها طلباً للثواب.

- كتاب «ثم اهتديت» للدكتور محمد التيجانى السماوى القفصى التونسى.
- كتاب «وركب السفينة» للكاتب الأردنى مروان خليفات ، وهو كتاب جامع مانع.
- كتاب «معالم المدرستين» للعلامة مرتضى العسكرى وهو فى جزءين.
- كتاب «ابن تيمية» لصائب عبد الحميد ، الذى نزع ورقة التوت عن عورة ابن تيمية ، أكذب كاتب فى تاريخ الإسلام.
- كتاب «الشيعة هم أهل السنة» للتيجانى.

- كتاب «المراجعات» للعلامة عبد الحسين شرف الدين العاملى اللبنانى (رحمه الله).

- كتاب «أبو هريرة» للعلامة عبد الحسين شرف الدين العاملى

--- ... الصفحة ١٧٣ ... ---

اللبنانى (رحمه الله).

- كتاب «نظرية عدالة الصحابة» للمحامى الأردنى أحمد حسين يعقوب.

- كتاب «التشيع» لعبدالله الغريفى.

- كتاب «عقائد الإمامية» للشيخ محمد رضا المظفر (رحمه الله).

- كتاب «الرسائل العشر» للسيد على الحسينى الميلى.

- كتاب «لقد شيعنى الحسين (صلى الله عليه وآله وسلم)» للكاتب المغربى إدريس الحسينى.

- كتاب «الصحوة» لصباح على البياتى ، وقد نسف فيه كل ما ورد فى كتاب «العواصم من القواصم» للقاضى أبى بكر بن العربى.

هذه مجموعة كتب ، يرجى منها الفائدة والتعرف على عقائد الشيعة مباشرة ودون واسطة المستشرقين أو الكذابين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

\*\*\*

--- ... الصفحة ١٧٤ ... --

--- ... الصفحة ١٧٥ ... --

## المصادر

- ١- القرآن الكريم
- ٢- أبوهريرة - للعلامة شرف الدين الموسوى العاملى - دار أنصاريان - قم.
- ٣- أبوهريرة شيخ المضيرة - لمحمود أبورية المصرى - طبعه الأعلمى - بيروت.
- ٤- أسد الغبة - لابن الأثير «ت ٦٣٠ هـ» - طبعه دار إحياء التراث العربى - بيروت.
- ٥- الإصابة فى تمييز الصحابة - للعسقلانى «ت ٨٥٢ هـ» - طبعه دار الكتب العلميه - بيروت.
- ٦- الإمامة والسياسة - لابن قتيبة الدينورى «ت ٢٧٦ هـ» - منشورات الشريف الرضى - قم ١٤١٣ هـ.
- ٧- البدايه والنهائيه - لابن كثير «ت ٧٧٤ هـ» - طبعه دار الفكر - بيروت - ١٩٨٢.
- ٨- تاريخ الإسلام - للذهبي «ت ٧٤٨ هـ» - طبعه دار الكتاب العربى - بيروت ١٩٩٨ م.
- ٩- تاريخ الطبرى - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - طبعه دار سويدان بيروت.
- ... الصفحة ١٧٦ ... --
- ١٠- تفسير ابن كثير -
- ١١- تفسير الدر المنثور - للسيوطى «ت ٩١١ هـ» - طبعه دار الفكر - بيروت ١٩٨٣ م.
- ١٢- تفسير روح المعانى - للألوسى البغدادي «ت ١٢٧٠ هـ» - طبعه دار الكتب العلميه - بيروت - ١٩٩٦ م.
- ١٣- تفسير الطبرى - طبعه دار المعرفه - بيروت.
- ١٤- تفسير القرطبي - طبعه دار إحياء التراث العربى - بيروت.
- ١٥- التفسير الكبير - للفخر الرازى «ت ٦٠٦ هـ» - طبعه دار إحياء التراث العربى - بيروت ١٩٩٧ م.
- ١٦- تفسير الكشاف - للزمخشري «ت ٥٣٨ هـ» - طبعه دار المعرفه - بيروت.
- ١٧- رياض الصالحين - للنووى «ت ٦٧٦ هـ» - طبعه دار ابن زيدون - بيروت ١٩٩٧ م.
- ١٨- سنن ابن ماجه - تحقيق صدقى العطار - طبعه دار الفكر - بيروت.
- ١٩- سنن أبى داود - تحقيق صدقى العطار - طبعه دار الفكر - بيروت ١٩٩٨ م.
- ٢٠- سير أعلام النبلاء - للذهبي - طبعه مؤسسه الرساله - بيروت ١٩٩٨ م.
- ٢١- صحيح البخارى - النسخه السلطانيه - طبعه الحلبي - نشر دار إحياء التراث.
- ٢٢- صحيح الترمذى - بتحقيق بشار عواد معروف - طبعه دار الغرب الإسلامى - بيروت ١٩٩٨ م. وبتحقيق أحمد محمد شاکر - طبعه دار إحياء التراث العربى - بيروت.
- ... الصفحة ١٧٧ ... --
- ٢٣- صحيح مسلم - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - طبعه دار الفكر - بيروت ١٩٧٨ م.
- ٢٤- الصواعق المحرقة - لابن حجر الهيتمى - طبعه المطبعه الوهيئه - مصر ١٢٩٢ هـ.

- ٢٥ - الطبقات الكبرى - لابن سعد «ت ٢٣٠ هـ» - منشورات مؤسسة النصر طهران.
- ٢٦ - العقد الفريد - لابن عبد ربه - طبعة دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٨٢. وطبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٩٩٠.
- ٢٧ - العقيدة الطحاوية - المجموع الفريد من رسائل التوحيد - دار ابن خزيمة - الرياض ١٩٩٣ م.
- ٢٨ - العقيدة الواسطية - لابن تيمية الحراني «ت ٧٢٨ هـ» - المجموع المفيد من رسائل التوحيد.
- ٢٩ - العهدين: التوراة والإنجيل - عربي.
- ٣٠ - الكامل في التاريخ - لابن الأثير - طبعة دار صادر - بيروت ١٩٧٩ م.
- ٣١ - الكتاب المقدس تحت المجهر - عودة مهاوش - طبعة دار أنصاريان - قم ١٩٩٧ هـ.
- ٣٢ - الكتاب المقدس في الميزان - لمحمد علي بزوي العاملي - طبعة الدار الإسلامية - بيروت ١٩٩٣ هـ.
- ٣٣ - مروج الذهب - للمسعودي «ت ٣٤٦ هـ» - طبعة دار الهجرة - قم ١٤٠٩ هـ.
- ٣٤ - المستدرک بذيله تلخيص المستدرک للذهبي - طبعة دار الفكر - بيروت ١٩٧٨ م.
- ... الصفحة ١٧٨ ... ---
- ٣٥ - مسند أحمد بن حنبل - بتحقيق أحمد محمد شاكر - طبعة دار الجيل - بيروت ١٩٩٤ م. وطبعة دار الفكر - بيروت - بهامشه منتخب كنز العمال.
- ٣٦ - موطأ الإمام مالك - مع تعليق سعيد اللحام - طبعة دار الفكر - بيروت ١٩٨٩.
- ٣٧ - نظم الدرّة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية - للسفاريني - المجموع الفريد من رسائل التوحيد.
- ٣٨ - نهج البلاغة - لأبي المؤمنين علي بن أبي طالب - تحقيق صبحي الصالح - طبعة دار أسوة - قم ١٤١٥ هـ.

### تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/٤١).

قال الإمام علي بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بناذر البحار - في تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عيون أخبار الرضا (ع)، الشيخ الصدوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصفهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - "رحمه الله" - كان أحدًا من جهابذة هذه المدينة، الذي قد اشتهر بشعفه بأهل بيت النبي (صلوات الله عليهم) ولاسيما بحضرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ ولهذا أسس مع نظره و درايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه و طريقة لم ينطفي مصباحها، بل تتبّع بأقوى و أحسن موقف كل يوم.

مركز "القائمية" للتحرّي الحاسوبي - بأصفهان، إيران - قد ابتدأ أنشيطه من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - و مع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، في مجالات شتى: دينية، ثقافية و علمية...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافة الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحرّي الأذق للمسائل الدينيّة، تخليف المطالب النافعة - مكان البلايتي المبتدلة أو الرديئة - في المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضية واسعة جامعة ثقافية على أساس معارف القرآن و اهل البيت -عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعة ثقافته القراءة و إغناء أوقات فراغه هواة برامج العلوم

الإسلامية، إنالة المنافع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشبّهات المنتشرة في الجامعة، و...  
 - منها العدالة الاجتماعية: التي يُمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثة متصاعدة، على أنه يُمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات -  
 في آكناف البلد - و نشر الثقافة الإسلامية و الإيرانية - في أنحاء العالم - من جهةٍ أخرى.  
 - من الأنشطة الواسعة للمركز:

(الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتب، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءة

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيه و مكتبيه، قابله للتشغيل في الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثية الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركة و... الأماكن الدينيه، السياحيه و...

(د) إبداع الموقع الانترنتي " القائمية " www.Ghaemiyeh.com و عدّه مواقعٍ أُخرى

(ه) إنتاج المنتجات العرضيه، الخطابات و... للعرض في القنوات القمرية

(و) الإطلاق و الدّعم العلميّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيه، الاخلاقيه و الاعتقاديّه (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائيّ و اليدويّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرسائل القصيره SMS

(ح) التعاون الفخرى مع عشراتِ مراكزٍ طبيعيه و اعتباريه، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميه، الجوامع، الأماكن الدينيه كمسجد  
 جَمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع " ما قبل المدرسه " الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشاركين في الجلسه

(ي) إقامة دورات تعليميه عموميه و دورات تربية المربى (حضوراً و افتراضاً) طيله السنه

المكتب الرئيسيّ: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيد/ " ما بين شارع " پنج رمضان " و مُفترق " وفائي / بنايه " القائمية "

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسيه (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكتروني: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الانترنتي: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٢-٢٣٥٧٠ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزانية الحالية لهذا المركز، شعبيّه، تبرعيّه، غير حكوميّه، و غير ربحيه، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنها لا تُوفى الحجم  
 المتزايد و المتسعّ للامور الدينيه و العلميه الحاليه و مشاريع التوسعه الثقافيه؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى  
 بالقائمية) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحه بقيه الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفّق الكلّ توفيقاً متزائداً لإعانتهم  
 - في حدّ التمكن لكلّ احدٍ منهم - إيانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله وليّ التوفيق.

مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية  
أصبحان  
الغائمي



للحصول على المكتبات الخاصة الأخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

[www.Ghaemiyeh.com](http://www.Ghaemiyeh.com)

[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)

[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)

[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

و للإيحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

